Avelos babies - High twins

o

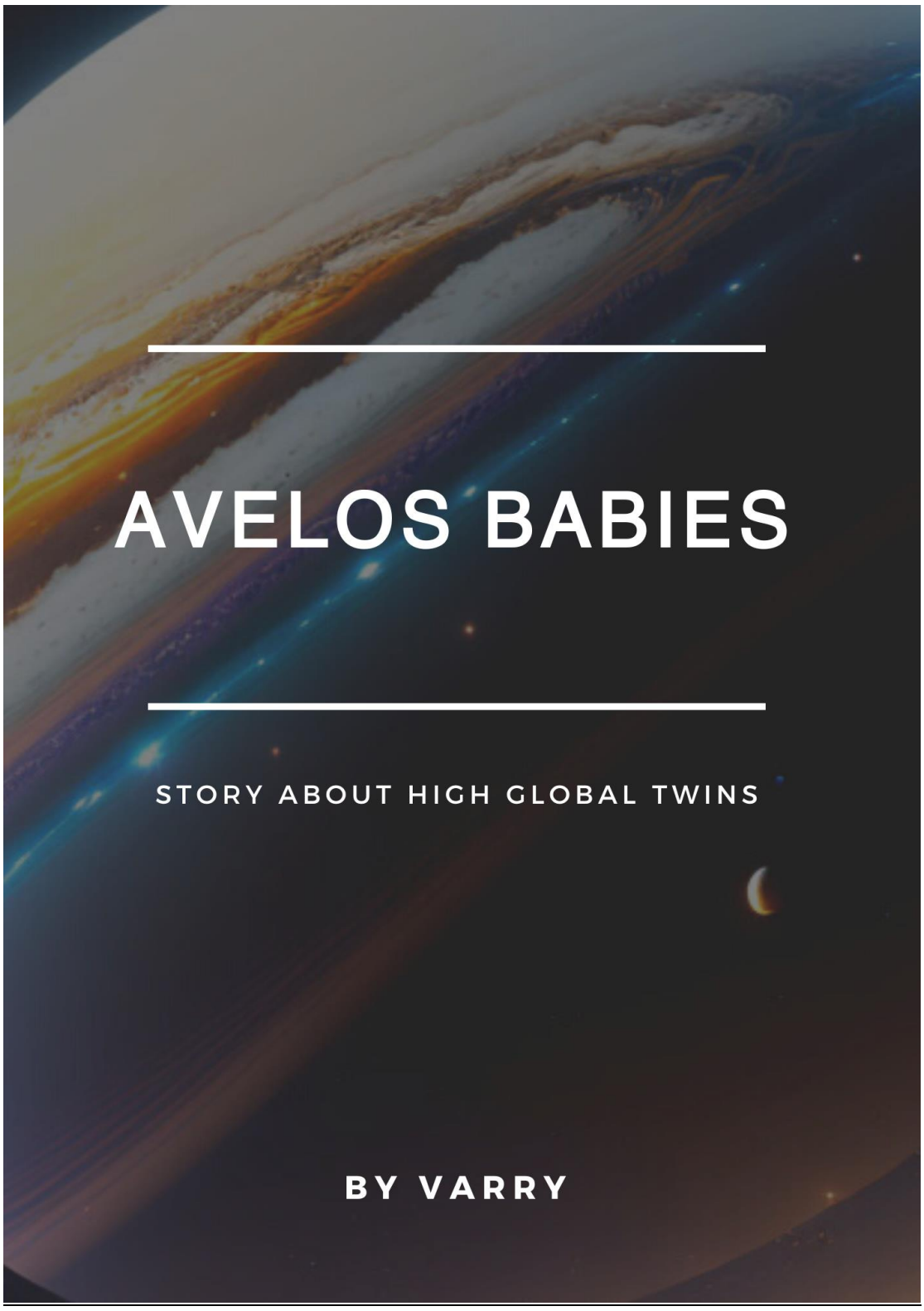

By: Varry (hiba hasan)

Avelos babies - High twins

1 حياة الأطفال في كوكب الأرض من المفترض أن تدوم لمدة ثلاثين عاماً، كل ثلث تمثّله عشر سنوات.

تزامناً مع نهاية كل ثلث -ولاحقاً مع نهاية كل قسم مهما كان شكله ربما ارتأيت ضرورة لوجوده- سأخصص فقرة **ملخص**.

الملخص موجود لمراجعة الأحداث، وكذلك للاطلاع على الأحداث لمَن لا يرغب بقراءة الثلث أو القسم لسبب ما.
ولكنه يكشف اللثام عن الكثير من الأحداث والمواقف المهمة، إذاً فهو غير مناسب لمَن يرغب بالقراءة.

الملخص موجود في القسم الأخير من هذا الكتاب:١٥٠-١٥١

-

2

نحن سكان كوكب 'أڤيلوس' لدينا قانون يتم تطبيقه عند كل موسم ولادة جديد

حيث تم تقنين الولادات هناك خبراء مهمتهم تحديد الوقت المناسب لحدوث الولادات، وذلك كل ٨ أعوام. وفي بعض الأحيان يمر ١٦ عاما بين موسمي ولادة متتابعين.

*

أما فيما يتعلق بالقانون الذي أتحدث عنه. فهو ينص على إرسال هؤلاء الأطفال إلى الكوكب المجاور 'نيرول' لاكتساب الخبرة أولاً، ولكن ما يهمنا فعلاً هو تمكين شعبنا من معرفة الحياة الداخلية للكوكب المعادي.

أما الآن، وقد تم هزيمة كوكب نيرول على أيدي سكان كوكب بعيد ولكنه دخل في العداء فجأة 'الأرض'، فقرر الخبراء إرسال الأطفال إلى كوكب الأرض.

اليوم ستكون أول رسالة عضوية سرية مع هذا الكوكب، الأهالي متخوفون قليلاً، ولكن يجب علينا خوض التجربة قبل إقرار التخوف واقعاً..

الطريقة بسيطة جداً. نحن سنضع كل طفل ك توأم لطفل من الأرض

وسيعيش صغارنا في عائلاتهم الجديدة بدون أي تواصل معنا.

*

3

كل عائلة تودع طفلها بالكثير من الدموع والحنان أمامي، ما سبّب شوقاً غريباً في داخلي.

هذا ما يحدث عند إرسال كل رسالة. ولكن الخوف اليوم مضاعف.

*

انتهيت أخيراً من إرفاق كل طفل بالصفة التي ستعرّفهم إلى بعضهم مستقبلاً، وفي حال كانوا فطنين كفاية قد يكتشفون أبعد من ذلك.

وبهذا انتهت مهمتي وودعت صغارنا بدوري بكل المحبة التي تستوطن قلبي وأنا أنظر إليهم الآن.

-

الفصل الأول

الليلة ليلة رأس السنة

داخل إحدى المدن الكبيرة الصاخبة كان هناك شارع يعمّه الهدوء، مفروش بزينة بهيّة جاذبة للأنظار، جميع مكونات الحي الصغير تحتفل، المنازل، الجدران، السيارات، والناس.

في إحدى الشرفات ذات الجدران المطلية بلون خشبي لامع، وقفت فتاة ذات ضفائر قصيرة (كما طولها)؛ ذهبية اللون، تنظر بابتسامة مشرقة إلى الأجواء العامة، تركز على شاب مفعم بالنشاط، يرتدي ملابس ملطخة ببقع من ألوان زيتية متناسبة بغرابة مع المحيط.

عندما دلف الشاب المحمل بالكثير من الأشياء إلى المنزل مفتوح المصراعين، تهيأ للشابة أن تذمراته وصلت لأذنيها، وبتلقائية، تناغمت هذه التذمرات بدورها (كما لطخات ثيابه) مع المشهد العام..

*

جميع التذمرات تلاشت في الهواء عندما حصلت شفتيه الجافة برداً على قبلة شكر

بعد لحظات وقف الشاب بملابسه الملطخة بجانب الأم الصغيرة، مراقباً إياها تصنع زجاجتيّ حليب دافئ لطفليهما الجائعَين

تخصّر وقال :

"ذكّريني مجدداً، لماذا قررنا الإنجاب؟"

5

حصل على نظرة معاتبة قاسية بالمقابل، وتم تجاهله

حملت الأم الزجاجتين اللطيفتين بلون السكّر المكرمل وسارت في الرواق قاصدة غرفة صغيريها

لحقها الأب المتذمر، كان يحاول بجهد المحافظة على هدوءه لضمان عدم إزعاج الصغيرين.

*

دخلت الشابة إلى الغرفة المُنارة بإنارة وردية لطيفة وخافتة، شغلت الأضواء قليلة الحدة، وسارت باتجاه طفلي العائلة الجالسَين على السرير النهاري المشترك، يأكلان الحلوى ويقبلان أيدي بعضهما قبلاً مبتلّة لطيفة ذوات أصوات عالية نوعاً ما، ولكنها لا تعلو على أصوات ضحكاتهما المرحة، ولا حتى على أحاديثهما الطفولية الغير مفهومة تماماً

التفت الطفلان إلى الباب عندما اخترقت رائحة الحليب الشهي الأجواء، رفعا أيديهما عالياً مطالبَين أبيهما بحملهما، ولكنهما نظرا بلهفة أيضاً إلى الزجاجتين في يديّ والدتهما، كانا محتارين بجدية!

انتحب الأب هامساً بأذن زوجته:
"يتوجب عليّ إكمال اللوحة، ولكن لا يمكنني تفويت عرض إطعام الصغار"

قهقهت الأم، وهذا تسبب بضحكات لطيفة صادرة عن الطفلين

صححت له بأن هذا ليس عرضاً! ولكنها اقترحت أن يراقب إطعام الطفلين ومن ثَم يكمل لوحته

جلس الأب على كرسي بجانب السرير النهاري المشترك، ناظراً بلهفة متزايدة بشدة إلى صغيري العائلة الفريدَين.

-

في مكان بعيد. وتحديداً في غرفة المدرّسين التابعة لإحدى المدارس الابتدائية، كانت إحدى المعلمات تناقش مع المتفرّغين من زملائها، قصة فيلم بتصنيف الخوارق، الذي شاهدته البارحة وأعجبها بشدة.

أما معلّمة التربية البدنية الجالسة على الطرف المقابل من الطاولة الكبيرة مستطيلة الشكل بلون العنب المختمر، فكانت ضائعة داخل أفكارها

في البداية، أعجبتها القصة التي سمعتها، وانشغلت بالتفكير بها، ولكنها توترت بسبب ما يحدث حالياً

منذ بعض الوقت، هي لم تعد بحاجة لسماع القصة، فقط بالنظر إلى زميلتها، وصلت إلى أحداث الفيلم كاملة!

هي ترى مشاهد مشوشة، ولكن الكثير من أفكار زميلتها عائمة في ذهنها حالياً

*

نهضتْ بعجلة وجمعت أغراضها

هي لا تريد لتشوشها أن يصل إلى الصغار في الحصة الدراسية القادمة

*

Rina POV

فتحتُ الباب وقابلتني الكثير من الأصوات. ما يحدث غريب ومُربِك بشدة

عندما ألقيتُ التحية على معلم الحساب رأيت مشهد استقلاله المصعد نزولاً إلى هنا، كان المصعد مزدحماً، هو اصطدم عن طريق الخطأ بشخصٍ ما، مما تسبب بفوضى عارمة، ولكنه متأخر عن الحصة بالفعل ولذلك تملص من تقديم المساعدة

أقف الآن وسط المعلمين والطلاب السائرين في جميع الاتجاهات. مرتبكة بشدة. موجهة رأسي إلى الأرضية بخوف، وصلني شعور تأنيب الضمير الذي يشعر به معلم الحساب بالرغم من أنني لم أنظر إليه لأكثر من نصف دقيقة. وبجدية لا أرغب بتجربة هذا الإحساس المفجع ثانية مع أي شخص آخر!.

*

يد صغيرة شدت ملابسي. رفعت رأسي وحاولت التحدث مع الطفل من دون تركيز نظري عليه. ولكنه كان يميل رأسه بكل الاتجاهات التي قصدتها محاولة تجنب النظر إليه، مما صعّب مهمتي

وصلني صوته الحاد الناعم

8

"معلمتي بدأت الحصة. نحن قلقون عليكِ"

الآن هو يبتسم لي ويديه متشابكتين خلف ظهره. يتأرجح بلطف. هذا الطفل نشيط فعلا!

ولكنني لم أستطع الرد بكلمة. كل ما يشغل تفكيري الآن هو إحساس عدم الأمان الذي يشعر به هذا الصغير في كل مرة يسمع فيها صوت مشاجرة والديه عندما يعتقدان أنه نائم

ربتّتُ على رأسه بلطف ويداي كانتا ترتجفان

"أخبر الأصدقاء أن المعلمة رينا لديها عمل مهم. حسناً صغيري؟"

أومأ برأسه بشدة وجرى إلى صفه

أما أنا فقصدت المدير لأخبره بأنني سأعود إلى المنزل. أنا مرهقة حقاً، مرتبكة وخائفة. لا أعلم ما الذي يحدث ولكنه أمر مرعب..

-

الفصل الثاني

9

في غرفة صغيرة ينام طفلان بعمر السنتين تقريباً متجاورَين على سرير متوسط الحجم، تحت غطاء بلون حليبي مع رسومات طفولية ظريفة

كل شيء في هذه الغرفة متناغم مع ما يجاوره، منامَتيّ الصغيرين بلون الملاءات التي تعلوهما، لون الجدران السكري مشابه للون الأرضية وإن بفارق تدرّج لوني بسيط، الكرسي الخشبي الذي يجلس عليه الأب الأعزب يتلاءم باللون والحجم مع الحاسوب الذي يطبع عليه شيئاً ما متعلّق بالعمل.

أصوات تنفّس الصغيريَن تعلو حيناً وتنخفض أحياناً، وهي تتناسب تقريباً مع أصوات النقر على لوحة المفاتيح التي يصدرها أبوهما.

*

تغيرت حياة الشاب المجتهد 'بام' بعد ثلاثة أشهر تقريباً من ولادة طفليه

حينها كان بام طالباً في سنته الأخيرة في قسم الهندسة المعمارية، عُرف عنه اجتهاده، هدوءه، وذكاءه الذي لطالما كان عوناً له في مراحله الحياتية جميعها

*

بعد تقديم امتحان بشكل جيد جداً بالرغم من صعوبته، قرر بام مكافئة ذاته بليلة سهر وشرب والكثير من الرقص، والتي انتهت في منزل إحدى معارفه البعيدين، كل ما يذكره عن تلك الليلة أنها كانت

جميلة، ممتعة، فريدة من نوعها.

10

في الصباح التالي حوالي الساعة العاشرة استيقظت الكاتبة الثلاثينية 'جين' في فراشها مرتدية قميصاً غريباً بحجم كبير، بجانب شخص ما، تعرفه بشكل سطحي، كانت تسمع بوضوح صوت شخيره الخفيف

أغمضت عينيها وحاولت استرجاع القليل من ذكريات الليلة الماضية، وما استرجعته ذاكرتها سبّب لها إحباطا وخيبة أمل كبيرَين

هي قصدت ذلك النادي فقط من أجل الاعتراف بمشاعرها المتزايدة للنادل الأسمر الوسيم.. كيف وصل الأمر إلى هنا؟

*

زحفتْ من السرير بهدوء لتجنب إزعاج الرجل الصغير النائم، استحمتْ، وأعدّت فطوراً لذيذاً لشخصين

المياه الدافئة ساعدتها على ترتيب أفكارها وهي اتخذت قرارها بالفعل.

أطفئتْ الموقد واتجهت إلى غرفة النوم، طرقتْ الباب عدة طرقات خفيفة متتالية ودخلت إلى الغرفة، كان الشاب ما يزال نائماً بنفس الوضعية، يتنفس بانتظام، يضمّ يديه لصدره المغطّى نصفه بالملاءة الزرقاء السماوية، ربتّت على يديه بخفة وقالت بصوت رزين:
"بام. استيقظ. الفطور جاهز وعلينا الحديث"

عينيه العُشبيّتين نظرتا إليها بتشوّش، التفت يميناً وتثاءب، ثم حك

رأسه بيده وكان يبدو جليّاً للمرأة أنه ضائع داخل رأسه وهربت منه الكلمات

لذلك هي ابتسمت له بلطف وقالت قبل المغادرة:
"الإفطار جاهز سأنتظرك في المطبخ"

بعد عشر دقائق تقريباً انضمّ بام إليها على طاولة الفطور، شجعته ليأكل وأكلت بدورها

وبعد بعض الوقت، سندت ظهرها على الكرسي نبيذي اللون وتكتفت، مما جعل الشاب يركز نظره عليها بترقب

_ ليلة أمس كانت لطيفة وأنت شاب جيد. سواء كنت تذكر أم لا، لا يهم فأنا باختصار أود تجاهل ما حدث بالكامل، هل توافق؟

عند سماعه كلامها أخفض بام نظره وتوردت وجنتيه (وهذا تماماً حال وجنتيها الآن)

بالتفكير بالأمر هو أيضاً يودّ تجاهل أحداث الأمس

مرور شريط الذكريات (المشوش بشدة) في عقله أثناء الفطور جعله يأخذ صورة وافية تقريباً عن ما حدث

*

ودعّا بعضهما بعناق حميمي لطيف وتمنّيا الأفضل لبعضهما، مع التأكيد على استغلال ما حدث في جعل علاقة صداقتهما أعمق من السابق.

في ذلك اليوم عاد بام إلى المنزل الصغير الذي اشتراه في هذه المدينة ليكون قريباً على الجامعة، هو يسكن فيه بمفرده مع زيارات من أصدقائه بين الحين والآخر

عاد بام لحياته الاعتيادية، يحضر صفوفه صباحاً ويعمل مساءً في السوبر ماركت القريب من منزله، يخرج مع أحد أصدقائه أحياناً، ويعمل في مساعدة أحد الطلاب بمشاريع جامعية في أحيان أخرى مقابل أجر ماديّ جيد

بعد مرور شهر ونصف تقريباً على ذلك اليوم (وكانا قد التقيا ضمن هذه المدة عدة مرات إما مصادفة أو بموعد مسبق).

اليوم عندما عاد للمنزل ظهراً وجد جين تنتظره ويبدو عليها التوتر

ألقى عليها السلام ودخلا إلى المنزل سوياً.

اصطحبها إلى غرفة المعيشة، شغّل التلفاز وتركها قليلاً بمفردها ليغير ملابسه ويعدّ القهوة.

كانت متوترة وبشرتها شاحبة تقريباً. بعد عدة رشفات من الماء والقهوة بالتناوب. فجرت قنبلتها:
"أنا حامل"

حل الصمت المريب على المكان وتبادلا نظرات مرتبكة.

بعد شربها الماء الموضوع في الكأس الزجاجي المتوسط الحجم مرة واحدة أكملت قائلة:

"تأكدت ألبارحة. اليوم منذ الصباح راجعت الدائرة القانونية المَعنية بالإجهاض"

صمتتْ قليلاً. ربما لترتيب جملها، أو لإعطاء الشاب فرصة بالكلام

أطلعني أحد الموظفين على الصورة كاملة من الناحية القانونية. _ في حال لم يوافق الأب على حدوث الإجها

صرخ بام **"لا تذكري هذه الكلمة ثانية"**

تنهدت وانتظرته بصبر حتى يهدأ

كما تعلم أنا في علاقة منذ شهر الآن. لا أرغب بهذا الطفل. ولكن _ .يبدو أنك ترغب به. لذلك، اهدأ ودعني أصيغ القانون باختصار لك

ثم تابعت **"في حال لم يوافق الأب، أي أنت، سيتأكد القاضي بداية أن الرجل ليس لديه أبناء حتى يسمح له بالحفاظ على حياة الجنين ولكن في حاضنة اصطناعية"**

"هل فهمتَ القانون جيداً؟"

أومئ بام عدة إيماءات ثقيلة. وقال **"أريد هذا الطفل"**

جمعت جين أشيائها ونهضت بعد أن تمتمت ب **"كما تريد. سأتصل بكَ خلال يومين"**

هكذا كيف تحول اسم بام إلى 'أب أعزب'

توأميه هما أغلى ما يملك، وهو يحاول جاهداً تعويضهما عن قلة التواصل مع والدتهما، ويظن أنه يبلي جيداً.

*

برفقة الأمور الكثيرة التي تغيرت بعد مشاركة طفليه حياته العادية. تغير شيء برأس بام مرة واحدة وإلى الأبد، وترتب عليه تغييرات جذرية في شخصيته، اعتقاداته، ومحيطه بأكمله

الشاب المجتهد الذي كان يملك أخلاقاً حميدة يوماً. أصبح يستخدم مقدرته الجديدة في إعالة عائلته الجديدة

هو يعتقد (بدون سبب مقنع) أن طفليه هما السبب في امتلاكه هذه 'الحاسة الجديدة'. ولذلك هو يعتقد (بدون سبب مقنع أيضاً) أن توقعات طفليه بأبيهما في المستقبل لن تخيب. حتى مع استغلاله ما منحه إياه طفليه، بالعمل مع منظمة سرية غير قانونية وغير إنسانية

هو يأمل أن يصدق طفليه تغير شخصيته بالترافق مع الحاسّة الجديدة بدون أي تحكم منه..

هذا الحاسوب يشهد على كلّ الأفعال السيئة التي قام بها وسيشهد على ما سيقوم به من أفعال سيئة في المستقبل.

*

بطريقة ما، وبعد مرور خمسة أشهر على استقبال صغيريه في منزله، وبينما كان مشغولاً في الاعتناء بهما، والتفكير بما يحدث معه من أحداث غريبة، صادف في أحد الأيام (وهي ما عرف لاحقاً

أنها لم تكن مصادفة) التقى برجل غريب أطوار يرتدي ثياب عصرية غير متناسقة، يبدو غير خطير، قدم نفسه لبام على أنه أحد زملائه من المدرسة المتوسطة، ويرغب بالتعرف إليه وكان خجولاً أيام المدرسة!

اكتشف 'جوليان' بطريقة ما، مقدرة بام. وبالتدريج وضحها له وساعده على التأقلم معها

في البداية. كان بام يرى ما دعاه جوليان 'قاعدة بيانات' عصيّة على الفهم بالنسبة له. مترافقة مع أجساد الأشخاص الذين يعرفهم أو يصادفهم أو يتعرف إليهم حديثاً

ساعده جوليان في قراءة هذه القواعد

وفي أحد الأيام عرض عليه العمل معه. كانت المهمات بسيطة وطبيعية ((نوعاً ما)) في البداية كأن يجعله يزوده ببيانات ومعلومات عن العملاء الجدد للشركة

ولكن وبعد عدة مهام. طلب منه المدير (ما بدا له بغير علم صديقه الجديد، ولكنه كان مخطئاً.) طلب منه استخدام قدرته في تجميع المعلومات لمجموعة مُختارة من طلاب إحدى الثانويات وتقديمها له، مقابل مبلغ مادي مغري

هنا أحسّ بام بتبلور الجشع الغريب في شخصيته، وما يزال حتى هذا اليوم يعتقد أن الجشع الذي يسكن عقله غير بشري.

*

شريط السنة الأخيرة مرّ برأس بام بينما كان يطبع ما جمعه من

معلومات عن الموظفين في أحد المصارف، لتحليله واستخلاص ما يمكن تخبئته عن مدير شركة 'العين' والاستفادة منه في مهام إحدى الشركات (العصابات) المنافسة.

عندما سمع صوت المنبه أغلق الحاسوب متجاهلاً ما لم يكمله. واتجه إلى الحمام لإعداده لطفليه ثم إلى المطبخ للتأكد من أن الطعام والحلوى أصبحا جاهزين لكي يتناولهم طفليه اللطيفين بعد الحمام الدافئ الذي سيحصلان عليه بعد قليل.

هو اشتاق لصغيريه بشدة. أودعهما لدى أمهما صباحاً وذهب لعمله. ونام الصغيران فور عودتهم للمنزل

-

الفصل الثالث

تم إرسال عشرة أطفال (رسمياً) إلى كوكب الأرض

وهم يعيشون حالياً في أماكن متفرقة، ولكن احتمال التقائهم موجود.

*

في إحدى الليالي العاصفة، كان الظلام حالكاً والجوّ شديد البرودة

وفي إحدى المناطق الوعرة الخالية من السكان كانت تتوسط الطريق سيارة فاخرة يقودها رجل متقدم في السّنّ، ذو شعر خفيف وشائب، من الجلي أنه خبير في القيادة، لكنه لم يتعرف إلى المكان جيداً، فقد كانت الحيرة واضحة جداً عليه.

أما في المقاعد الخلفية، فقد جلس رجل في متوسط العمر، وسيم، ملامحه جدية، يرتدي بدله رسمية باللون الكحلي. يحمل طفلاً مغطى بطبقات كثيرة من الثياب جميعها بلون الفراولة تتناسب مع رسومات الفراولة التي تملأ ملابس توأمه الذي يحتل الحضن المريح والدافئ لامرأة ذات شعر قصير أشقر، ترتدي ملابس نصف رسمية وتضع خاتماً خاصاً بالأزواج مطابقاً لما يضعه الرجل بجانبها في إصبعه الرابع الأيسر.

في حين كان السائق العجوز منهمكا بالقيادة، كانت هناك أحاديث تدور في المقعد الخلفي.

التفت الرجل إلى الخلف وقال بصوت خشن متّزن : **أنا أرى أن**

تؤجلا جدالكما المهم جداً حتى نصل إلى الفندق، فأنتما تقلقان الصغيرين.

وعندها سُمِع صوت المرأة تقول للرجل النصف شائب بجانبها :
"إن السيد يوهان محق يا زوجي. كما أن الصغيرين أتعبانا إلى أن ناما"

الزوج: **"انظر يا سيد يوهان، إنها تنعتُني بالثرثار، لو لم تتكلمي أنتِ ما كنتُ لأنطق بحرف"**

الزوجة: **"إذاً أنت تقصد أنني ثرثارة؟"**

يوهان: **"من الأفضل أن ترجئا هذا الجدل العظيم إلى وقت لاحق، ولو ترجعا إلي فأنتما الاثنان ثرثاران"**

الزوجة (وقد توردت وجنتيها): **"معك حقّ. سأصمت"**

ضحكوا جميعاً. وكانت هذه آخر لحظة تعيشها هذه العائلة بسعادة

حيث مرت السيارة بجانب وادٍ عميق وحصلت الكارثة.

*

مات الزوجان. وعاش السائق لعدة أشهر في غيبوبة إلى أن فارق الحياة بدوره

وتم إيداع التوأمين إلى ميتم يضمّ عدداً قليلاً من الأطفال، ما يميزه عن غيره من الميتام هو أن جميع سكانه من الأطفال تخلوا (بغير إرادة منهم) عن آبائهم وأمهاتهم معاً إلى الموت.

19

*

خرجت رينا من المدرسة واستقلّت سيارتها عودة إلى المنزل، المنزل المليء بالمشاكل والجدالات

ولكنه أيضاً يحتوي على طفليها الشقيَين اللطيفَين.

دخلت رينا منزلها برفقة زوجها وطفليها، ألقت المفاتيح على الطاولة. وتسلّلت بخطوات خفيفة إلى غرفة الطفلين خشية إيقاظهما بحال كانا نائمين، وجدتهما مستلقيَين كل منهما في سريره، ينظران إلى السقف المُضاء بألوان زاهية، بشرود أحياناً وبتركيز في أحيان أخرى

لطالما أنستها ملامحهما البريئة تعبها، وهو ما فعلته الآن مع قلقها

عندما وصلتهما رائحة العطر المنعش الذي يلتصق بأوردة وبشرة والدتيهما، نظر الصغيران سوياً باتجاه الباب وبمجرد لمح أعينهما لوالدتيهما أصدرا الكثير من الأصوات المتحمسة برفقة تحركات أطراف متشوقة

بالرغم من انزعاج رينا من ترك زوجها للطفلين قبل موعد عمله وحتى قبل موعد قدوم المربية، ابتسمت بشدة وبصدق وتقدمت إلى سريريهما المتجاورَين بلهفة ظاهرة. (حتى انزعاجها يتلاشى بحضور جميليها)

*

بعد إمضائها بضع لحظات برفقة صغيريها. هي تظن الآن أن ما يحدث معها ليس سيئاً تماماً

هي تمكنت من قراءة طفليها. جميلاها لم يعودا بحاجة لتكبد العناء حتى يتم فهم ما يريدانه!.

*

بعد أن نظفت جسديهما وبدلّت لهما ملابسهما، واتصلت بالمربية تعلمها بعدم أهمية حضورها لهذا اليوم، فرشت لهما غطاء أرضية كبير في المطبخ بجانبها وتركتهما ليلعبا بجانبها بينما تعد الطعام

هي تودّ الحصول على الكثير من الذكريات السعيدة مع طفليها

علاقتها بزوجها سيئة، وهذا السوء يؤثر بالتأكيد على الطفلين. هي كانت تعلم أن الانفصال سيبعد أطفالها عنها ولكنها لم تجد خياراً أفضل، أطفالها بحاجة لحياة مريحة وصحية.

المربيّة 'ايما' هي فتاة عيّنتها المحكمة إلى أن يتم العثور على عائلتين مناسبتَين لتبنيّ الصغيرين وعندها سيتمّ الانفصال.

هي لا تود التأثير بالسلب على حياة طفليها حتى بعد الانفصال. ولذلك ستنتقل لمكان بعيد عن طفليها، على الأقل حتى تستقر علاقة كل منهما بوالديه الجديدَين.

ولكن بالتأكيد هي ستحرص على إبقاء تواصلها مع عائلتي طفليهما

ومعهما بالتالي.

21

*

Rina POV

كنت أتناول غدائي المبكر مع صغيريّ حولي يلعبان بمرح، عندما سمعت صوت فتح الباب. حسناً ها قد انتهى استرخائي ومرحباً بالعصبية

دخل الغرفة 'مورغان' (زوجي حتى هذه اللحظة). يبدو شارد الذهن ومشغول التفكير، وهو هادئ بعكس حالته الطبيعية

عندما نظرتُ داخل عينيه علمت السبب في هدوءه (وهو علم ما يشغلني بدوره)

هو أيضاً بدأ يومه بقراءة أفكار الناس. وهذه القدرة الغريبة شوّشت تفكيره كما فعلت معي.

بصمت سلّمني ورقة ما، واتجه إلى غرفة النوم

يبدو أن المحكمة وجدتْ عائلتَين جيّدتَين على استعداد لمنح طفليّ ما لن نستطيع أنا وزوجي منحه لهما. (قرأت هذا في عقل مورغان. وأتفق معه بشدة. منذ زمن لا أذكره بالتحديد لم يتفق كلانا على رأي واحد..)

*

في مطار كبير ومليء بالمسافرين، المغادرين والداخلين، وقفت سيدة جميلة ذات شعر أسود مجعّد، ترتدي ملابس عصرية بألوان ملفتة وهي عبارة عن تدرجات البني، تحمل طفلين بجرابَين باللون البني أيضاً، الطفل المحمول على ظهرها كان نائم ورأسه مدفون بكل اللطف الذي عرفه العالم يوماً، في رقبة والدته البيولوجية. أما الطفل الثاني، فهو في حالة سكون حالياً في جرابه على صدر والدته، مدهوش بالعدد الكبير من الأشخاص الذي يراه لأول مرة في حياته، عيناه متوسعتان بلطف وفمه يحتوي على مصاصة اصطناعية حمراء فاقعة اللون. يحرك رأسه بكل الاتجاهات المسموحة بوضعيته هذه ويعود ليضربه بخفة في جسد والدته معتقداً أنه يلعب معها.

عندما وصلت سيارة الأجرة التي طلبتها من الفندق التابع للجامعة التي تعمل فيها، اتجهت السيدة مع طفليها إلى السيارة.

هي تزور هذه القارة للمرة الأولى.

أما بالنسبة لطفليها فهنا رحلتهما الأولى أبداً، وكذلك رحلتهما الأولى لأجل الدراسات الأحفورية.

وضعت حقيبة أوراقها بجانب طفليها في المقاعد الخلفية. وانتقلت إلى جانب السائق لكي يعرفها إلى المدينة، ومتاحفها، والأماكن الأثرية، وتلك المخصصة للدراسة.

استغرقت الجولة بالسيارة ٦ ساعات. كانت هذه الساعات الست ممتعة بالنسبة ل 'ليزا' وكذلك بالنسبة للسائق الذي يعمل لصالح هذه الجامعة منذ زمن واكتسب شغفهم بدوره.

استفاق الطفلان عدة مرات خلال الجولة وعادا للنوم. فقط. هذا كل شيء. ربما لم يعلما أنهما كانا يخوضان جولة في أحد أقدم المدن المأهولة بالأحياء (على تنوعها) في هذا الكوكب الأزرق.

-

الفصل الرابع

24

سكان كوكب أڤيلوس غير محدَّدي الجنس (تقنياً). ولكن جميع الأطفال الذين تم إرسالهم إلى كوكب الأرض أصبحوا 'ذكور' بمجرد أن اخترقت الذرات (التي كانت مكوِّنة لأجسادهم في الماضي) الغلاف الجوي.

ارتكزتْ عملية الإرسال بشكل أساسي على تقنية 'فصل الذرات'، هذه الذرات التي تم فصلها ومن ثَم إرسالها، أعادت التجمع والتشكل في الجسد آنياً (وبشكل ذاتي تماماً) عندما وصلتْ إلى المكان المحدد بدقة من قِبَل الشخص المسؤول عن عملية الإرسال.

*

الحرب بين الكوكبين المتجاورَين 'أڤيلوس' و 'نيرول' هي حرب قديمة عمرها مئات السنين، حرب مستمرة دائماً، ولكنها ليست خطيرة وذلك لأن صفات الكوكبين وما يوجد على سطحيهما أو بداخلهما متقاربة بشدة نظراً لأن الكوكَبين من مَنشأ قريب واحد.

*

أڤيلوس هو كوكب مخفي تقريباً، ولذلك فإن سكان الأرض لا يعرفون عنه شيئاً

أما كوكب نيرول فهو مأهول بأناس فضوليين مغامرين لم يتكبدوا

عناء إخفاء كوكبهم عن المحيط، وهم دائماً يخوضون التجارب الجديدة ويتعاملون بتهور مع الجميع؛ حتى مع الأعداء. وهذا هو السبب الرئيسي في هزيمتهم المشينة والسريعة أمام الكوكب البعيد والغريب عنهم تماماً 'الأرض'

*

في الماضي، وقبل التمكن من استخدام طريقة 'فصل الذرات' كانت الحرب تتمتع بشرف وتكافؤ أكبر. كانت عملية الإرسال غير متاحة وغير مجدية أصلاً، بالرغم من أنها كانت مطروحة ولكن لم يستطع أي أحد إقناع الأهالي بالمخاطرة بأطفالهم المولودين حديثاً وإرسالهم في مركبة يتم التحكم بها عن بُعد، أو التعايش مع شعور القلق من احتمال عدم وصولهم لمسكنهم الجديد بأمان.

*

في أڤيلوس، الأفكار المتعلقة بالمشاعر والأحاسيس تم الحد منها والسيطرة عليها منذ زمن بعيد. أشياء مثل القلق والخوف اللام برر أصبحت من الماضي. واستخدام 'مثبطات المشاعر والأفكار الغير مرغوب بها' أصبح شائع بشدة.

*

تم طرح 'فكرة الإرسال' أساساً بعد وقوع حادثة 'الاستمارة'. هذا الحادثة عُرفَت بأكثر من اسم، أشهر هذا الأسماء رسمياً وشعبياً كان 'الاستمارة'

وافق المسؤولون في كوكب نيرول (وعدة كواكب غير مهمة بالنسبة لأڤيلوس) على استلام استمارة تم إرسالها من الأرض والإجابة على الأسئلة المطروحة فيها بصدق واستفاضة من قِبَل الأشخاص

الراغبين بالإجابة، ويستطيع المُجيب طرح أسئلة تهمّه بدوره.

فيما بعد، تبيّن أن هذه الأسئلة (الطبيعية تماماً) قادرة على قلب موازين المعارك التي كانت باردة وسطحية قبلها..

*

شخص مجهول الهوية اقترح فكرة عملية الإرسال. وحتى بعد وضعها موضع التنفيذ، لم يقبل هذا الشخص بالإفصاح عن هويته، اليوم أصبح رقم العملية هو ثلاثة، اثنتان مع نيرول، الأخيرة مع الأرض.

العمليات الثلاث مستمرة. أما فيما يخص القدرة على التواصل مع الكوكب الأم من عدمه، فهو شأن سري حتى الآن.

مواسم الولادات يحددها الخبراء. أما عدد الأطفال، والآباء المُفترضين فيتم تحديدهم من قبل مسئولين المحكمة المختصة بالمستقبل.

قبل إقرار 'موسم الولادات' قانوناً رسمياً، كانت هناك عدة تجارب سابقة، جميعها تقترب من مفهوم الموسم، النسخة المُطوَّرَة عن جميع التجارب والمُعتمدة حالياً، تم إقرارها قبل ١٤٣ عام.

سكان كوكب أڤيلوس يعيشون طويلاً ولكن كان هذا في الماضي، (قبل إجراء التعديل على الجينات)، إذ أصبح الأشخاص منذ ذلك الحين أقلّ تعلقاً بالحياة..

عدد الأشخاص الذين يقررون إنهاء حياتهم في 'مواسم الموت المُتعمَّد'، يتضاعف دورياً. ولكن مع ذلك هناك الكثيرين تجاوزوا

مئات السنين ولا يريدون إنهاء حياتهم، أغلب هؤلاء لديهم عائلات أو علاقات صحية قوية، أو ببساطة حب الحياة لديهم أعمق من أن يتأثر بتعديل غير جذري على الجينات.

العلماء أخذوا الحريات الشخصية بعين الاعتبار بينما يطوّرون أسلوب التعديل، بحيث يكون هذا التعديل (كما غيره من التعديلات)، عبارة عن تسريع النمو التطوري فقط. وهذا يعني (في هذه الحالة)، ببساطة، أن التعديل هو صورة عن مستقبل الشخص.

وهذا ينسحب على التعديلات الكثيرة التي أُجريَت على التعامل مع الأحاسيس.

-

Mochen POV

اليوم هو الموعد الشهري لزيارة والدتي رينا.

ألبستني ماما الملابس الجميلة الخاصة بالخروج، انتهينا منذ لحظات قليلة، وأبدو الآن في هذا المعطف السمين الوردي كمثلجات الفراولة، هذا ما قاله والدي عندما شاهدني أتفقد مظهري في المرآة.

سحبني بابا معه إلى غرفتي برفقة أخي الأكبر 'راموف'. سنحاول مثل كل يوم إقناعه ليتناول الدواء المر، أنا أحزن عليه بشدة وخاصة عندما يجبره والدانا على الدواء، ولكنّهما يخبراني دائماً بأنّه من الممكن أن يشعر بحزني هذا، ولذلك عليّ تشجيعه وإمداده بكل قوّة وتفاؤل العالم الواسع والجميل، تزامناً مع تفكيري مررنا بباب غرفة والديّ، التفتت ماما لي وفتحت ذراعيها بوسع دلالة

على سعة العالم. أنا أحب قدرتها على قراءة أفكاري. ماما رينا كذلك تفعل..

تركناها تعمل على تجهيز حقيبة كبيرة تخصّنا، وأكملنا متعاقدَيّ الأيدي باتجاه الغرفة التي يتواجد بها أخي الآن، مع وصولنا تسلّقتُ السرير المرتفع الخاص بموف ورحت أراقب بابا وهو يجهّز الدواء بينما أحرك قدماي بتوتر شديد. للأسف هذا يحدث بكثرة، صحيح أنّ موف يكبرني بثلاثة أعوام ولكنّه ما يزال صغيرً رغم ذلك!

أنت قوي وشجاع حبيبي. أنا متأكد أنني حتى لو أصبحت في **" السادسة مثلك لن أصبر لكل هذا الوقت. تعال لتتناول الدواء، بابا يعدّه لا تحزنه أرجوك. قبل أن نخرج سأمنحك قبلة أعدك"**

تخاطرتُ مع أخي عاشق القبلات، وانتظرتُ ردّه

راموف الآن في الحمّام هرباً منّا، هو يلجأ لهذه الطريقة عندما يكون يائساً تماماً من وجود احتمال للهروب.

لو لم يكن بابا هنا، كنت لأدخل إليه وأخرجه. ولكن بابا لا يسمح بذلك **"افففففف"** تأففتُ بصوت عالٍ، وهذا جذب انتباه بابا لي. رمقني بإحدى نظراته المؤنّبة والتي من شأنها أن تجعلني أتراجع عن أي شيء سأفعله إن كان سيجعله يغضب ويؤنّبني.

بابا لا يستطيع أن يقرأ أفكاري أو يتخاطر معي مثل ماما وموف وكذلك والدايّ الحقيقيان.
ولكنه يفهم ما بداخلي بشكل أفضل منهم جميعاً، هو قالها يوماً **"هم يسمعون أفكارك المبعثرة، ولكنّي أعرف ما يدور بداخل هذا الرأس الصغير، وكذاك أستطيع توقعه."**

طأطأتُ رأسي بخجل من تفكيري حين تذكرت ما قاله لنا بابا منذ عدة أيام **"حتى في التخاطر عليكما الاستئذان من الآخر أولاً. الخصوصيّة مهمة أيّها الشقيان الصغيران"**
ردّ موف أخيراً **"قبلتين؟"**

قهقهتُ بصوت عالي ونظر لي بابا بشكّ. ولكني طمأنته أن موف وافق وسيخرج الآن.

عندما فُتح باب الحمام الرمادي نظر كلانا باتجاهه، وشاهدنا موف اللطيف بثيابه المشابهة لخاصتي قليلاً يقف بارتباك أمام باب الحمام ويحمل حقيبته الصغيرة الزرقاء وينقر عليها بخفّة.
"أنا آسف بابا" قال بصوت ناعم (يستخدمه أحياناً لاستعطاف والدنا)

حمل بابا جرعات الدواء الثلاث المختلفة وجلس بجانبي على سرير راموف وربّت بيده الكبيرة على جانبه الآخر يدعو موف للانضمام إلينا فوق السرير.

سار موف بتردد وجلس بجانب بابا.

في مواقف أخرى قد أدخل عقل موف وأحاول معرفة ما يجول فيه من أفكار شريرة غبية، ولكنّي الآن ما زلت تحت تأثير مواعظ بابا ولذلك سأحترم الخصوصية الغبية.

وأعلم تماماً أن موف يفعل مثلي حالياً، نحن الشقيّان الصغيران خاصة بابا ولن ندعه يحزن بسببنا أبدا.

الآن سيروي بابا _كالعادة_ قصته (التي نظنّ أنها من تأليفه)، حتى يشجّع موف على تناول دوائه الشرير.

تحمحم بابا وبدأ بقصته (التي يظنها مؤثرة) ناقراً جبين موف **"هل تذكر ما قلته لك؟ أم أن عقل الفستقة الصغير هذا نسي مجدداً؟"**

عندما تململ كلانا أعطانا نظرات ليزرية وصفق بيديه. وتابع **"عندما كنت صغيراً، بعمرك تقريباً، رفضت تناول دوائي. والدتي لم تجبرني لأنها كانت ضعيفة أمام نظراتي البريئة وصوتي الناعم"**
قرص خديّنا بيديه الاثنتين وعلّق **"كانت ضعيفة أمامي مثلي ومثل والدتكما"**

"والذي حدث بعدها أنّي مرضتُ أكثر. وحزنت أميْ بشدة لأنها أصبحت مجبرة على إعطائي الدواء بواسطة إبرة حَقْن قبيحة وكبيرة"
تظاهر موف بأنه انبهر من كم العبر الموجودة في القصة وتناول دوائه على مضض. بينما في الواقع هو أُجبر على السرعة بعد أن وصلت ماما وطالبته بذلك بدون علم بابا _أعتقد أنه بدوره تظاهر بالجهل_

في الطريق إلى الموقف حيث تقبع سيارتنا، تقدمنا أنا وموف والدينا الذَين يمشيان ببطئ في الخلف بينما نستمع إلى الصوت الواضح لنقاشاتهما الغير مجدية.

(كلانا يحب استراق السمع عندما يتعلق الأمر بهما**)**

قالت ماما: **"أخبرني لماذا العبوس الآن؟"**

"أنتِ تفسدين صغاري." أجاب بانتحاب حقيقي

تجاهلته ماما. ولكنه أكمل **"ثم لمَ هددتي صغيري موفي؟"**

قهقهت ماما وأجابت: **"هو يكره عمتك هذه الطريقة تنفع دائما"**

لكي تجبره على أخذ دوائه استخدمت ماما الطريق السريع. (هي ببساطة هددت أن تتركه في المنزل برفقة العمة التي نكرهها أنا وموف بشدة)

تأفف بابا وأرسل نظرات مؤنّبة _الكثير منها_ ولكنّي أظنّ أن ماما لديها عصا سحرية لصدّ هذه النظرات!

قالت بجديّة: **"دعه يعتاد. غداً سيكبر ولن يكون قد اعتادها بعد. ثم ماذا؟ سيلومك."** قالت هذا بصوت منخفض

موف كان يعبث بالحصى بقدمه عندما وصل بابا. حملنا كلّ بيد وركض باتجاه السيارة. ومن فوق الكتف العريض المريح، قرأت في داخل ماما رغبتها في الانضمام لنا لولا الحقيبة الكبيرة التي تحملها.

-

الفصل الخامس

عند الباب الخارجي لمطار إنتشون الدولي وقف شاب وسيم بجانب حقيبتين كبيرتين باللون الأسود، وبجانبه الآخر وقفت شابة جميلة ناعمة الملامح، تحمل معدات الرسم الخاصة بالرسام الوسيم الخاص بعائلتها الصغيرة

وأمامهما وقف التوأمان اللذان لا يتشابهان فعلاً، وقد كبرا ليصبحا

في الثالثة، مع بعض الصفات المشتركة التي تقتصر على الصخب (المزعج أحياناً) والشعر الأشقر الأجعد

علاقة هذان التوأمان خاصة وفريدة، الطفل سان استطاع اكتساب صفة توأمه وليس فقط أبويهما مَن اكتسباها!

ربما كان هذا العمق الذي تتمتع به علاقتهما بسبب حرص الأبوان على قرب الشقيقين من بعضهما، أو بسبب الحب الأخوي العميق المتولد بينهما، أو بسبب الكبد الذي يتشاركان في خلاياه _تقريباً_، ~على أية حال سان وتوم بالتأكيد ليسا مجرد توأمين مزيّفين

*

بالعودة إلى الماضي عندما كان التوأمان يبلغان سنة ونصف من العمر

في غرفة متوسطة الحجم داخل أحد المستشفيات، يوجد سريران أحدهما بحجم عادي، والآخر مخصص للأطفال مزين بنجوم صغيرة والكثير من الدمى المحشوة الملونة

على السرير بجانب النافذة ينام 'اوران' إثر بفعل العقار المخدر الموجود حالياً في جسده. وبجانبه على كرسي بلاستيكي تنام زوجته 'كومي'، تشخر بتعب ممسكة بإحدى يديه

على السرير الآخر، _كان عريض يتسع للتوأمين_ ينام سان بسلام محتضناً يد توأمه لصدره، شعره المنفوش مفرود على الوسادة كبتلات الزهور، ووجهه مبلل بفعل الدموع التي بقي اليوم السابق

بأكمله يذرفه.

34 توأمه ينام بعمق ملتصقاً به، هو خضع البارحة لعملية زراعة كبد، صغير أڤيلوس 'توم' يعاني منذ بضعة أشهر من مرض 'الفشل الكلوي' وبعد إجراء عدد كبير جداً من الاختبارات أجرى توم الصغير عملية زرع كبد وكان المتبرع والده

بقيت العائلة في المشفى أسبوعاً أو أكثر بقليل. وعادوا بعدها لمزاولة حياتهم الطبيعية. الأب اوران يعمل على رسومات شخصية مقابل أجر مادي مناسب، أو رسومات مخصصة لكتب أو مقاهي أو ما شابه ذلك

بينما تعمل الأم كومي في تقديم مراجعات وتلخيصات عن كتب، روايات، أفلام، درامات، عروض وثائقية، إلخ..

*

اليوم هم هنا في كوريا الجنوبية لأن الأب الشاب سوف يشارك لأول مرة في معرض فني عالمي

قدمت العائلة الصغيرة بأكملها معه بقصد التشجيع والسياحة

من المقرر أن يقضوا اليوم في الفندق والمُجمَّع الملحق به، وفي الصباح التالي يذهبون للإفطار خارجاً ومن ثَم يذهبون إلى مدينة الملاهي التي شاهدها الصغيران في فيديو مسبقاً

تجهزت العائلة صباحاً وارتدوا ملابسهم المتناسبة مع الثقافة الكورية، ولم ينسوا نظاراتهم التي من شأنها أن تحمي بشراتهم من التغير المفاجئ للجو المحيط

35

عند الباب الخارجي للفندق تذكر سان أنه غفل عن وضع مرطب الشفاه. طلب من والديه وشقيقه انتظاره، دخل إلى الحمام، وبعد تأكده من خلوّ المكان من أي شخص أو كاميرات مراقبة استخدم إصبعه ليرسم في الهواء أمامه الشكل الذي يذكره جيداً لمستحضر التجميل الذي يستخدمه للعناية ببشرته، وما هي إلا لحظات قصيرة حتى كانت العلبة أمامه، التقطها وبعد انتهائه من استخدامها وضعها في جيبه

في البداية عانت العائلة من وقت صعب للاستفادة من الصفة التي حصلوا عليها. بطريقة ما، وبالصدفة البحتة، اكتشفوا امتلاكهم هذه الصفة، وبمساعدة من توم استطاعوا تدريب الذاكرة بمهارة للوصول إلى أقصى استفادة من الصفة المميزة، وكان سان أمهرهم.

اليوم هم جميعهم يستطيعون استدعاء الأشياء التي عرفوها وشاهدوها أو استعملوها مسبقاً مهما كان نوعها أو حجمها، ولكنهم يحاولون الاقتصار على الأشياء ذات الحجم الصغير أو المتوسط مع تجنب جذب الانتباه ما أمكن ذلك.

في الحديقة تناولوا الحلوى والكثير من المقبلات الكورية التقليدية، لعبوا في كل الألعاب تقريباً، والتقطوا الكثير من الصور التي ستذكّرهم بهذه الزيارة الممتعة دائماً. وفي المساء تناولوا عشاءهم في السيارة الجميلة المُستأجَرة وتجوّلوا في الطرقات قليلاً، وقبل العودة إلى الفندق استأجروا دراجتين للثنائيات وقضوا الكثير من الوقت الممتع معاً كعائلة- كما دائماً-

في طريق العودة نام توم. وعند وضعه في العربة المتحركة بدأ شقيقه النعس بالتثاؤب مما دفع والدتهما لمحاولة تنويمه هو الآخر بواسطة تلحين ظريف وبعض التربيتات اللطيفة، وهذا نجح فعلاً في جعله يقع نائماً

وضع الأب الصغيرين في السرير المشترك، ضبط الإضاءة على وضع مناسب، وعبر رواق الجناح البسيط متوسط الحجم إلى الغرفة المجاورة حيث تنتظره كومي بملابس النوم وقد أعدّت بعض الوجبات الخفيفة ليتناولاها بينما يشاهدان فيلماً ما، (واحداً مناسباً للأطفال في حال قرر أحد طفليهما الاستيقاظ فجأة والتطفل على وقت الأبوين الخاص). ارتدى اوران ملابسه الخاصة بالنوم وانضم إلى زوجته على الأريكة مقابلاً للتلفاز والطاولة الصغيرة الشهية، وأمضيا ساعات الليل الأولى دون الإزعاج المُحبَّب الذي كان من الممكن أن يُصدره الصغيران.

*

في اليوم التالي استيقظت كومي قبل الجميع. استحمّت وجهّزت ملابس الصغيرين، وعندما ذهبت للمطبخ بنيّة إعداد الفطور اكتشفت أنها لم تكن الأولى، إذ أنّ اوران أعدّ طاولة الإفطار بالكامل وعاد للنوم بانتظار استيقاظ الجميع

بعد وداع هذه الرحلة القصيرة الممتعة اتجه أفراد العائلة الصغيرة سوياً إلى مكان المعرض، هناك حيث شارك اوران بحائط يتسع لخمس لوحات، في منتصف اللوحات الخمسة تربعت السادسة (الغير مخصصة للبيع) والتي تُصوِّر كومي مستلقية على فراش أرضي كبير، تحيط بها بتلات الزهور ذات الألوان الخافتة، وتضمّ

إلى جسدها من الجانبين، الصغيرين صاحبيّ الابتسامتين المشرقتين الواسعتين

اذا نظرتَ إلى الصغيرين في هذه اللحظة سترى ابتسامتَين مماثلتَين لما يوجد في اللوحة، مع زوج من الأعين اللامعة تملأها دهشة من عالم بعيد مثالي، وقد تكون محظوظاً كفاية لترى خدّين ملوّنين بحُمرة الخجل الفاتنة

التشوّق الذي حملوه معهم إلى كوريا تحوّل عند انتهاء زيارتهم القصيرة إلى حنين دافئ مرتبط بالكثير من الذكريات المميزة

تذكاراتهم كانت مجموعة من الصور، مجموعة من الثياب الكورية التقليدية، والكثير من الاعتزاز بالأب المثالي.

-

Ramof POV

سمعتُ والدايّ يتحدثان صباحاً عن ذكرى وفاة العم مورغان والتي تبيّن لي أنها توافق هذا اليوم

قبل أن أعرف هذه المعلومة أُثير استغرابي بشدة من اختيارهما برفقة العمة رينا حديقة عامة لقضاء اليوم فيها، في الماضي كان العم مورغان يختار الحدائق وكانوا يخالفونه جميعاً، ولكنهم لطالما وافقوا مُرغَمين لأن موشين يريد ذلك أيضاً

عندما توفّي العم مورغان بقي التوأم في غرفته الفارغة بمفردهما

لثلاث ساعات قضيتها بدوري بجانب الباب متعَباً من كمّ الحزن والضياع الذي كان يعيشه أخي بذلك الوقت

أنا أعلم أنّ موشين قرأني وعرف أنّ سنة كاملة انقضت منذ توفي والده الآخر. هو صامت الآن. أفكاره ملبّدة. ذكرياته مشوّشة. لم أجد وسيلة لمواساته (وهو شيء نادر الحدوث)، أحطتُ كتفيه بذراعيّ بينما نسير وفق حلقات دائرية وهمية بالقرب من الكبار الذين يأكلون الشطائر ويتحدّثون بشيء أجهله. موشين يجهل أحاديثهم أيضاً. (نحن صغيرَيّ بابا المُطيعَين ولن نخالف تعليماته طالما نستطيع ذلك)

تعلّق نظري على جرو صغير ثلجي اللون، الصغير الأبيض جذب عينيّ وحواسّ أخي كذلك

"ما رأيك بالاقتراب منه؟" أتاني صوت موشين خافتاً متردداً داخل عقلي،
كنت أنتظر هذا الطلب منذ زمن
بعد تبادل عدة نظرات مرتبكة فيما بيننا ومع الجرو الصغير، تقدّمنا باتجاهه، عندما كدنا نصل ظهرت فتاة صغيرة من اللامكان، كانت تحمل بيدها سيف بلاستيكي كبير وأخذت تلوح به باتجاهنا

ابتسمنا بارتباك وعدنا خطوة للخلف، بالمقابل تقدّمت الشريرة الصغيرة خطوتين

"سأخبر ماما". صرخ موشين داخل رأسي. التفتُّ إليه، وبنفاذ صبر أجبتُه: **"اصمت. دعني أتصرّف. نحن المخطئان هنا، ماما لن تقف بصفّنا"**

حصلت على جواب صامت مجدداً **"ولكن ماما رينا ستؤيّدنا"**

تجاهلتُ الفتاة التي تنقل نظرها بيننا باستغراب وريبة، وأجبت بعصبية وصوت عالي تقريباً **"ماما رينا. ماما رينا. لا تكرر هذه الكلمة مجذداً. هي أمك وحدك. كما أنها ستؤيدك بمفردك"**

بمرور الثواني حلّ الصمت على المكان. الفتاة التي تصغرنا بعدة سنوات ربّما، من الواضح أنها ارتعبت بسبب النبرة العصبية الأخيرة، أخفضتْ سيفها البلاستيكي الذي كانت تحمله بكلتيّ يديها المرتجفتين، وعندما رفعت نظرها إليّ تبيّن لي مقدار الخوف الذي تشعر به حالياً، ولكنها برغم ذلك تفكّر في الجرو الصغير هي تظنّ أنها فشلت في حمايته من الأشرار

على الجانب الآخر، كانت أفكار موشين ملبّدة، لا ألومه، منذ زمن طويل اعتقد موشين أنني وماما لم نعد نغار من والدته رينا، ثم يكتشف فجأة أن الغيرة لا تزال تسكن عقلي عندما يتعلق الأمر بوالدته رينا، من الطبيعي أن يواجه دماغه الصغير صعوبة في العمل

"راموف" بنبرة محذرّة تحدّث. وهذا جعلني لا أفعل شيئاً سوى إصدار قهقهة منخفضة الصوت. **"دماغك صغير أنا لا أكذب"**

تابع بقلّة صبر **"راموف. عزيزي. ماما رينا لا تشكّل أي تهديد بالنسبة لك، ظننتك فهمت هذا في المرة الماضية؟"**

نظرتُ إليه ورأيت تعبير **'أنت صغير لتفهم هذا'** يحتلّ ملامح وجهه الجميل، ماذا! أنا طفل كبير وتفكيري عقلاني تماماً، لماذا يعاملني بهذا الأسلوب إذاً!. هل بالمصادفة هو نسي أنني الشخص الأكبر هنا؟

"لا أعلم بشأن الفرص والتهديدات. أنا وماما الأحقّ بامتلاكك، هذا ما أعلمه" قلت مشدداً على كلمة امتلاكك، وضحك موشين لأوّل مرة منذ ساعات بدت كدهر، لو علمتُ أن هذا سيجعلني أسمع ضحكته الساحرة لكنت افتعلتُ هذه المشكلة منذ البداية~
تتبعتُ ما ينظر إليه موشين باستغراب، ورأيت الفتاة الصغيرة تحمل جروها بيد وسيفها بيد وتهمّ بالركض هرباً

حسناً، أنا أعترف أن هذا كثير على طفلة بسيف بلاستيكي لتحمّله

تأبّطنا ذراعيّ بعضنا وعدنا إلى آبائنا مع فكرة واحدة تقفز في رأسينا **'طلب الحصول على جرو أبيض**

وأعلم أنني سأتجاهل غيرتي للوقت الحالي. لأنّ والدة موشين رينا هي فقط مَن تستطيع إقناع رأسيّ الصخر العنيدَين الذَين أوقعنا قدرنا أنا وسيّء الحظ الآخر بجانبي كطفلين لهما من بين كل الناس على الأرض

بينما آخذ الشطيرة الشهيّة التي ناولني إياها بابا، تألمت بسبب قرص ماما لخدّي وصرختُ على أثره، يبدو أن بابا رأي ما حصل لأنه قرص خدّها وحملني ليضعني في حضنه

(لحسن الحظ هو لم يسمع ما قلتُه)

من موقعي الجديد بين ساقيّ بابا على البساط الأرضي خمريّ اللون، راقبتُ ماما الجالسة على جانبنا الأيسر بينما تسكب العصير في الكؤوس وتتراقص مع الأنغام الصادرة عن الجهاز الموسيقي الخاص بها

مستنداً إلى صدر بابا الدافئ والواسع، حملتُ شطيرتي بيد، واستخدمت اليد الثانية لإزعاج موشين الجالس في جانبنا الأيمن والذي تجاهلني تماماً، وكل ما كان يفعله هو أن يأكل قضمة من شطيرته ويتبعها بغمر رأسه في صدر والدته، فيمضغ، بينما تلهو رينا رينا بخصلاته المنفوشة مسبقاً بفعل الغبار

كانا في عالمهما الخاص وكنتُ مع ماما ننظر إليهما بكمية كبيرة من الغيرة تملأنا

"**رينا رينا. لقب جميل صغيري.**" ضحكتُ بشدّة، لم تثني ماما على تصرفّاتي الخاطئة من قبل!

لحسن الحظ، رينا رينا لا تستطيع التخاطر معنا، نحن لا نسمح لها بهذا، ونتشوّق بشدّة لتعلّم كيفية منعها من قراءتنا.

أنا لا أكره الوالدة رينا، في النهاية هي تبقى والدة أخي (البيولوجية) وهذه مشكلتي معها أصلاً.

-

الفصل السادس

قبل ٣ سنوات تقريباً

Sent officer POV

تلقّيتُ رسالة من شخص مجهول صباح هذا اليوم تنصّ على الوجود الحتمي لجنين حالياً في مكان ما من أڤيلوس لم يحدده المُرسِل _ومن الواضح أنه خارج الموسم_

أجبتُ المجهول بما دار في ذهني وقتها وانتظرت الردّ، الذي وصلني منذ بضع لحظات فقط. الرسالة الجديدة لم تفعل شيئاً سوى إمدادي بالمزيد من الحيرة، وتحفيز انبثاق المزيد من التساؤلات.

ولأنني بجديّة لا أرغب بالتسبب بوصول المُرسلين المجهولين إلى حالة من انعدام الثقة بمسؤوليّ أڤيلوس، الذين قطعوا عهداً بالفعل بكسب ثقة الأفراد والمحافظة على راحتهم. لهذا السبب بالتحديد تواصلت مع أحد زملائي، الزميل الأكثر حكمة بينهم. (بعد تأكديّ التام من موافقة المجهول المذكور)

نظراً لسريّة الطلب، استقبلت زميلي في المكان الخاص بي في المنظمة المعنية بعمليات الإرسال (وهو محمي من التجسس تماماً).

ونحن الآن نعيد قراءة الرسالة الأخيرة للمرة الثالثة بحثاً عن حل منطقي ما مع تجنب إشراك أي أحد غيرنا في المسألة

طلب مني زميلي تجربة قراءتها بصوت عالي لجذب الحل *على حد تعبيره*

((مرحباً. كما قلتُ سابقاً، نحن حقاً نحتاج وبشدّة أن تساعدنا في حماية بريء صغير قادم.

سأجيب عن أسئلتك جميعها بدقة ما أمكنني ذلك

_كم عمر الحامل؟ ٣٤

_هل يعرف جميع القوانين؟ ويعرف كذلك بشأن المواسم؟. نعم بالتأكيد. أنا لا أدّعي أن الحمل حدث بشكل مفاجئ. نحن أجرينا جميع الاختبارات بمواعدها الدقيقة، وحصلنا على الموافقة الصريحة للإنجاب في هذا الموسم. كان من المفترض أن تتم الولادة قبل يومين من العملية على أقصى تقدير، ولكن وبمكان ما حدث أمر غير طبيعي، هذا الجنين الحيّ توقّف عن النمو في شهره الأول، ولا يعلم بهذا إلا عائلتنا القريبة والطبيب، الآن أنت تعلم ومن المفترض أن 'زميلك' سيعلم قريباً

_المطلوب؟. نحن لا نعلم. نحن فقط نريد حياة طبيعية لطفلنا ليعيشها. هذا الفرد القادم حظه سيء بالفعل، ولا نرغب باختتام مسرحية سوء الطالع هذه في أحد المختبرات خارج الحيّز المرئي

نحن نعلم أنه موضوع شيّق للدراسة. ولكنك تعلم، والجميع يعلم أن 'التجارب' وبمجرد إقرارهم كتجارب لا يحظون بيوم واحد حتى كأفراد طبيعيين.

وبالتأكيد لا نرغب بالمسائلة القانونية التي من شأنها أن تحوّلنا لمذنبين فقط لأننا اخترقنا *الموسم المقدّس*

ضحك زميلي بشدة. (هو أخيراً وجد فرداً من أڤيلوس يمكنه التهكّم بدون شعور بالذنب من الأهمية الكبيرة الممنوحة لمواسم الولادة)

"قرأت سابقاً في مكان ما كتاب يتحدث عن أمر غريب يوجد في كوكب الأرض. هم لديهم عدة أجناس بوظائف محددة مختلفة. أظنّ أنّ هذه من إحدى المَيّزات التي يفتقر إليها أڤيلوس. جنس واحد مع وظائف بيولوجيّة متشابكة ومتداخلة ليس أمراً جميلاً على الإطلاق"

قلبتُ عينيّ. ليس بسبب الحقيقة التي ذكرها صديقي للتوّ، ولكن لأنّي بالفعل أعرف مصدرها. بالتأكيد زميلي لم يقرأها في أحد الكتب، تأشيرة الدخول للمكتبة الوطنية حيث توجد مثل هذه المعلومات من المستحيل ولو بعد مئات السنين أن تُمنح لأحد أكبر الدعاة إلى السلام *الغير مشروط*

"هل قرأتَ هذا في كتاب ما أم أخبرك به جوليان؟" قاطعته متهكّماً

ضحك صديقي وأجاب. **"جوليان هو مَن أعطاني الكتاب"**

أزلتُ تعابير السخرية وسألت في محاولة لإرضاء فضولي: **"حدّثني عن الأجناس. ماذا يعني هذا؟"**

اعتدل صديقي في جلسته، وقال بحماس للشرح: **"لا أفهم تماماً. ولكنّه شيء بعيد تماماً عن المفاهيم المألوفة لدينا. هم يولدون مختلفين، على عكسنا تماماً**

أظنّ أن هذا يشبه التخصص، نوعاً ما

مثلاً، في تقنية الفصل، أنت تقوم بالعمل التقنيّ، أنا مختلف عنك إذ أقوم بالتصميم والتخطيط، ولكن في النهاية نحن سوياً نخلق الصورة الكلية للعمل

هذا صعب علينا لفهمه. نحن بيولوجيّاً متشابهون"

قاطع ذاته وتحدث بما يبدو أنه تذكره لتوّه: **"هل تعلم أننا نختلف بالتشريح عن سكان كوكب الأرض؟ رغم وجود الكثير من العوامل المشتركة، والتي يظنّ الأفراد هنا بسببها أننا متشابهون مع البشر، إلّا أن الفريق الذي زار نيرول منذ فترة قصيرة أخبرهم بأنهم (وبالتالي نحن) لا نطابق أي كائن قد عرفوه وبالتأكيد لا نطابقهم *البشر*. نيرول في طريقه للسماح بالمزيد من التواصل مع الأرض، وعندها سنعلم المزيد."** تنهّد بحالمية في نهاية كلامه.

*

صمت بشكل مفاجئ، وعلمتُ أن القادم لن يعجبني. لا حاجة للقول إن مبادرته في إخبار المعلومات الغريبة هي مبادرة مريبة بذاتها

قال بصوت متردّد: **"ما رأيك بطلب العون من جوليان؟"**

أغمضتُ عيناي محاولاً التحكّم بأعصابي وأجبته قبل انتظار ما كان سيقوله تالياً: **"أولاً، هذا شأن المُرسِل يبدو أنك نسيت. ثانياً، أنا ما زلت لا أثق بجوليان هذا"**

رفعت صوتي مكملاً: **"هل هذا اسم حقيقي؟". "هل يخدعك هذا الشخص؟"**

أجابني ببرود مستخفّاً بكل شكوكي: **"اسمه ٥٤. ولكنّه يفضّل اسم جوليان، هو يستخدمه هناك في كوكب الأرض"**

تجاهلت جميع كلامه وتحدّثتُ بما أثار اهتمامي: **"صديقك يعيش في الأرض؟"**

"الأفراد في نيرول لديهم الحرية في الذهاب إلى أي مكان يريدون زيارته، واحزر ماذا يا *حامي التقاليد*؟ هم يستطيعون الإقامة هناك أيضا"

أجبتُ بأسلوبه ذاته: **"وهل هذا يحدث بدون مقابل يا *كاره التقاليد*؟"**

أجابني بانفعال: **"أنا لا أكده التقاليد، وأنت أكثر مَن يعلم. نعم بالتأكيد يوجد مقابل، ولكن يبقى تبادل المنافع أفضل من الانعزال التامّ الذي ننفرد به دوناً عن الكون بأكمله"**

(أنا أعذر انفعاله، هو وأمثاله يعانون بشكل سيء مما يخلقه المسؤولون من سوء فهم حولهم، والذي لطالما تسبب بكره وخوف العامة منهم واعتقادهم بأنهم مجرد صغار مخدوعين يرغبون بمحو هوية أڤيلوس وتقاليده العريقة)

ربتتُ على كتفه، وناولته كأس مشروبه. وتحدّثت محاولاً تقليل التوتر: **"هناك شيء يحيّرني منذ فترة. وكما تعلم، في حياتي لا يوجد أحد لديه اطلاع بقدرك.."**

قاطعني بتململ (ويبدو عليه الهدوء الآن): **"أنت لا تحتاج التملّق لأجيبك. تحدّث بشكل مباشر"**

ارتشفتُ القليل من مشروبي، اعتدلتُ في جلستي، وأكملت: **"منذ عدة أيام، في مكان الاجتماعات سمعتُ أحد مراقبيّ حياة الصغار يتحدّث عما أسماه *ذكور*. قال المُراقب أن صغارنا أصبحوا ذكوراً في الأرض. ماذا يعني هذا؟"**

قال صديقي كمن يشرح أمراً هام: **"ذكور هي جمع، مفردها *ذكر*. وهي تعاكس *إناث*"**

عندما تبيّن له أنّي لم أفهم شيئاً، تابع: **"لا أعرف بالضبط ماذا يعني هذا. ولكن جوليان أخبرني مسبقاً أن البشر منقسمون إلى أجناس. *ذكر* هو مفهوم يعبّر عن فئة منهم. تستطيع سؤاله بنفسك عندما نحدّثه بشأن المشكلة الحاليّة"**

"ذكّرني من فضلك، متى وافقتُ على طلب المساعدة من هذا الجوليان؟" قاطعته. أنا بجديّة لا أرغب بإحداث مشاكل نحن بغنى عنها

أجاب بثقة: "أنت تعلم أن جوليان قد يتمكّن من تقديم المساعدة لنا. **"**وأُطمئنك، هو لن يرفض طلبنا، هو صديقي في النهاية
وبعد ساعات من الإلحاح المستمرّ، أعدنا خلالها قراءة الرسالة لمئات المرات، أرسلنا للمجهول نسأله موافقته بشأن طلب المساعدة من أحد سكان نيرول..

في البداية، اقترحتُ تخبئة حقيقة أن مَن نرجو مساعدته لنا من نيرول. ولكن صديقي ذكّرني أن الأمر بأكمله لا يخصّنا، وبالتالي فإن القرار يعود لأصحاب المشكلة الأصليين.
وصلنا الردّ فوراً، يظهر على المجهول بعض التردد، ولكنه سمح لنا باتخاذ هذه الخطوة الخطيرة.

تواصل صديقي مع الفرد المُسمّى ٥٤. والذي وجد الحل فوراً (وهذا بصدق لم يفاجئني كثيراً)

اقترح ٥٤ إرسال هذا الجنين كما هو، ليكون شقيقاً في الرحم لجنين في شهره الأول.

ولأن الإرسال غير مفتوح حالياً، قام ٥٤ بالعملية بأكملها.

وبالتأكيد دفعنا الثمن...

*

جوليان تكفّل بمراقبة الحياة الأولى لصغير أڤيلوس الإضافي. وهو قطع وعداً معنا بعدم السماح لأيّ شخص آخر أن يتدخّل في مهمته الجديدة، أو حتى أن يعلم بشأنها...

على سطح نيرول، يعيش فقط مَن يفي بوعوده.

*

الجنين الغريب حافظ على طبيعته الغريبة في كوكب الأرض أيضاً. هو وبشكل مريب، _إن صحّ هذا التعبير_ ابتلع توأمه، وأكمل نموّه الاعتياديّ بعدها.

أطلق على حالته اسم 'كايميرا'. ولم أجد بعد فرصةً لسؤاله عن **54** المعنى، إذا تغاضينا عن حقيقة أنّه يتجاهلني غالباً، ويقصر تعامله على صديقي فقط لأنه يناديه 'جوليان'.

لا أستطيع ببساطة القفز فوق التقليد المقدس للتسمية.

هل من المعقول أنه سيتوجب عليّ استخدام اسم أرضي سخيف للتعامل مع طفليّ بعد عودته؟ لا أظنّ أنّه سيكون بمقدور أي أحد إجباري على هذا...

-

الفصل السابع

قبل أربع سنوات تقريباً

في صباح أحد الأيام غطى الثلج سطح أڤيلوس بأكمله، بعد كل شيء كان الكوكب صغيراً...
منذ لحظات فقط أوقفت الغيوم الثقيلة عملها، ولن تتجاوز فترة استراحتها نصف ساعة.

هذه الفترة يعرف السكان كيف يستغلّونها بشكل جيّد جدّاً. فنرى الطرقات وقد عجّت بالحياة من جديد بعد أن لبدت جميع أشكال الحياة للساعات الثلاث الماضية.
وتوسّط شارع عريض وقفت على جانبيه أبنية بأشكال هندسية متعددة شخص نحيل مدفون بداخل طبقات ثقيلة من الملابس من شأنها أن تقيه قسوة الجو الشتوي المُثلج.
خرج رأسه الصّغير من المعطف الضخم أبيض اللون ليعطي لوناً جديداً للوحة البيضاء.
تلوّنت الصّورة الكليّة للمشهد بلون أبيض نقي ما عدا الرّأس ذو البشرة الشّاحبة فكان يعلوها شعر منسدل أحمر ناريّ جاذب للأنظار _والتي لم تكن موجودة بطبيعة الحال

بثقة وسعادة بالغة خطى مَن سيصبح والداً في القريب العاجل فوق الأرض النّاعمة الثلجيّة بحذائه ناصع البياض المصنوع من الجلد الصّناعي.

بمجرّد إلقاء نظرة واحدة عليه يمكن لأي أحد أن يجزم بأن لهفة عظيمة تسكن خلاياه في الوقت الحالي.

أمسك بإحدى يديه مغلّفاً يحوي أوراق تهمّه بشدة خبّئها بحرص بين

الطبقتين الجلديتين للمغلّف.

50

وبواسطة يده الثانية عانق لصدره حقيبة صغيرة بيضاء تحوي أشياء تخصّ طفله القادم.
كانت وجهته هو البناء ذو الشكل البيضاوي (والذي يتفرد به دوناً عن كلّ أبنية الكوكب).

البناء الكبير تابع لمؤسّسة الإنجاب، وهو مشفى بعدّة طوابق تجري بداخله عمليّات الاستنساخ، ويعيش الجنين فيه أولى لحظاته قبل أن يدخل جسد الوالد ليكمل الشهور الخمسة الأولى من حياته، وبعدها يعود للمبنى لشهر ينتظر خلاله موعد إرساله لكوكب الأرض.
وقف الوالد-قريباً أمام الباب الزجاجي الكبير للمبنى وقد رحل عنه حماسه واستُبدل الآن بتوتر وخوف رهيبَين.
بالتأكيد هو محقّ في خوفه. هذا اليوم المهمّ يعيشه الجميع _تقريباً_ كعائلة، ولكن ولسوء حظّه فإن جميع أسلافه قد اختاروا الموت، الفرد الوحيد المتبقّي من عائلته هو قريب بعيد وعمله *كحارس للكوكب* يحتّم عليه الالتزام بنظام حياة محدّد خالي من أي استراحة.

لطالما عاش٠+ في خوف شديد من أن ينتهي به الحال كوالده وأسلافه جميعهم، خاف أن يختار إنهاء حياته تاركاً ابنه وحيداً خلفه.

في الواقع الإنجاب لم يُعَدّ غريزة بالنسبة لمعظم السكّان ولكن سيئو الحظّ أمثاله رُسم في جيناتهم حاجتهم الماسّة للإنجاب وربّما كان هذا متّصلاً بقابليتهم _دوناً عن غيرهم_ لاختيار الفناء..

-

الآن وصلت عائلة ما ووقفوا بجانبه يقابلون الباب الزّجاجي

بحماس، يتحدّثون فيما بينهم بلغة يجهلها، ولكن كان واضحاً ل ٠+ تماماً مَن هو الوالد القادم من بينهم.
ارتدى الوالد القادم ثوباً ثقيلاً مصنوعاً من خيوطٍ حديثة الصّناعة للحدّ الذي يجعلها مُلفتة عن بعد أميال، وكذلك فإنّها باهظة الثّمن حتى لأثرى الأثرياء...

بشرته السّمراء _أو ما اتّضح منها في هذا البرد القارص _ كانت لامعة بفضل مستحضرات التّجميل والعناية وهي أشياء ثمينة كذلك لمعظم السكان...

عيناه الواسعة نيليّة اللون تلمع بشدّة عاكسةً ما استوطن أعماقه من حماس وتلهّف. وبالرغم من أن اللون النيلي للعيون كان منقرضاً في الوقت الحاليّ، إلّا أن الثراء الفاحش لهذه العائلة سمح لهم بمنحه لصغيرهم الذي يستعدّ حالياً للحصول على صغيره فنراه يقفز بحماس ولكنّ توتّره لا يخفى على أحد، كيف لا وقد صدرت قرارات صارمة تمنع أي شخص وحتى الأثرياء من تجنّب إرسال أطفالهم للأرض.. وهو شيء لطالما حدث منذ بدء الرسائل العضويّة، ولكن وبعد سنوات من التعامل مع الأمر أصبح بالإمكان الآن الالتفات للتجاوزات وإيقافها تماماً...

أمام الباب الزّجاجيّ المعتم الضّخم دار مشهدان متناقضان.

موظّف الإرسال ٠+ يقف بمفرده في الجهة اليمنى من الباب يحتضن الآن الأوراق مع الحقيبة بواسطة يديه الاثنتين. ينقر بأصابعه الثّمانية بإيقاع غير منتظم على القفل المعدني للحقيبة مصدراً صوتاً مزعجاً، غير أنّ هذا الإزعاج لم يكن مسموعاً بوضوح حيث طغَت عليه أصوات الانتحابات التي يطلقها صغير العائلة المدلّل برفقة والدته-والده والذي كان واضحاً أنّه سيذرف الكثير من الدموع خلال المدّة التي سيقضيها صغيره بمفرده في

الدّاخل...

بدأ الثّلج في الانهمار من جديد وهذه كانت الإشارة للصغير أن يترك عائلته لينتظروه بمكانهم مكملاً ما يتوجّب عليه فعله بعيداً عنهم للمرّة الأولى في حياته القصيرة نسبيّاً

-

دخل ٠+ برفقة صغير العائلة التي تجاوره؛ إلى البناء حيث استوقفهما موظّف الاستقبال بعدّة أسئلة روتينيّة مزوّداً أجوبتهما إلى جهاز لوحيّ مخصّص لهذا الأمر.
هنا حيث افترقَ الاثنان فأخذ كلّ منهما طريقه الخاصّ.

-

في الغرفة المُضاءة بلون أصفر هادئ جلس ٠+ إلى طاولة بلاستيكيّة دائريّة الشّكل يقابله موظّف يحمل جهازاً لوحيّاً متّصلاً مع آخر مماثل حصل عليه ٠+ من موظّف الاستقبال بمجرّد دخوله لهذا المكان قائلاً إنه : "هذا الجهاز من شأنه أن يجعل مَهمّتك أكثر سهولة"
فجأة اهتزّ الجهاز بين يديه معلناً عن وصول تنبيه.

يبدو أنّ الموظّف بجواره أرسل الاستمارة الأولى لهذا اليوم.

تم تصميم الاستمارة لتكون جذّابة الشّكل ملوّنة بالأرجواني، احتوت على مربّعات لعناوين الأسئلة بخطّ برّاق مُلفت.

نقر على المربّع الموجود بأعلى الشّاشة سامحاً للسّؤال الأول بالظّهور.

الشّخص الجالس في الجهة المقابلة للطّاولة كان هادئاً تماماً مُولياً انتباهه الكامل لجهازه اللّوحي الذي يُوصله بشكل مباشر بكلّ ما يقوم به الوالد القادم دون الحاجة للتحدّث.

53

ظهرت رسالة بلون أحمر *إن سارت الأمور على ما يرام ستكون الوالد رقم ٥٥٩. حظّ سعيد نتمنّاه لك*

الصّفحة التّالية احتوت على السّؤال الأول *مرحباً ٠+. لدينا جميع المعلومات التي تهمنّا بشأنك. وأنت هنا اليوم لأنّنا وجدنا أنّك مؤهّل تماماً لتحصل على نسخة صغيرة منك أنت*

وبخطّ كبير كُتِب السّؤال *هل أنت موافق على الرّسالة العضويّة؟* حسناً هذه بداية غير موفّقة أبداً. فكّر موظّف الإرسال بينما ينقر على مربّع *نعم* بلون أرجوانيّ برّاق.

بمجرّد إجابته ظهرت صفحة جديدة. وكان السّؤال هذه المرّة *ما هو تسلسلك العدديّ؟* تحت السؤال كان هناك مساحة كبيرة بالنسبة لعدد وخمّن ٠+ أنّ الإجابة مفتوحة فطبع إجابته بواسطة إحدى الأصابع الأربعة ليده اليمنى الشّاحبة *أنا النّسخة رقم ١٩. سلَفي الأوّل توفي بمرض معدٍ منذ زمن بعيد _قبل التّعديل الجينيّ_، ومنذ التّعديل بدأ أفراد عائلتي في اختيار الفناء واحداً تلو الآخر*

تنهّد الوالد القادم ناظراً إلى ساعة يده التي توقّفت عن العمل منذ دخوله إلى هذا المكان. وعندما أعاد نظره إلى الشّاشة شاهد رسالة برّاقة أخرى *نحن نعتذر بشدّة عن فقدانك لعائلتك. في الواقع هذه الميّزة _القدرة على اختيار الموت_ هي إحدى الأسباب في اختيارنا لك كوالد مُحتَمل. كذلك يرى الخبراء أنّها ستعين طفلك مُستقبلاً في حياته على الأرض*

هو يعلم بالفعل أنّ الأشخاص الذين حافظوا على خلودهم بعد التّعديل قلّت فرصتهم في الإنجاب. قد يبدو هذا اختياراً حرّاً، ولكنّ الانتقاء يميل لاختيار الفناء. وحسناً، الخبراء يفضّلون ما تختاره

الطّبيعة.

54

بضع ثوانٍ أخرى وظهر السّؤال الثّالث *هل أنت موافق على قانون الحمل؟*

لمعت عينا ٠+ عاكسةً اللّون الأرجواني للشّاشة التي تقابلها. كان متحمّساً للحمل أكثر من أيّ شيء آخر.

بالنّهاية سيتمّ انتزاع الأطفال من أمّهم لثلاثين عاماً! هذه فترة طويلة بحقّ. جميع الروزين ممتنّون لمَن اقترح الحمل، بهذه الطريقة فقط أمكن لكلّ روز أن يتواصل مع نسخته، وإن كان هذا التواصل لعدّة شهور وحسب...

نقر ٠+ على المربّع البرّاق نعم. وهذا تسبّب بظهور رسالة جديدة ***أهلاً بالوالد القادم. ما سنعرضه عليك تالياً هي أشياء ليست متاحة لجميع الروزين، أنت مميز بعد كلّ شيء***

تلاشت الرّسالة وظهر مقطع فيديو لكائن غريب لم يراه ٠+ بحياته قبلاً. كان الكائن صغير الحجم عدا عن معدته الكبيرة المدوّرة، مغطّى بأكمله بفراء أسود اللّون لامع، كان مستلقياً بجانب شجرة ذات جذع بنّي ضخم، واستندت على جسده عدّة كائنات أصغر حجماً من نفس النّوع.

الأُلفة الواضحة في الصّورة جذبَت الروز الجالس أمام الطاولة. لطالما ضَعُف أمام الحبّ، هذا الشيء النادر جداً بنُدرة العلاقات في ~أڤيلوس؛ أثار مشاعر الإعجاب في عقول الروزين على الدّوام العلاقة بين الأم وأطفالها في المقطع المُصوَّر حثّت قلبه على الطّرق بعنف شديد وبعثت في جسده قشعريرة غريبة. إذن هذه هي المشاعر التي راودت أحد أسلافه منذ زمن طويل جداً، وكان من

الروزين القلائل الذين أُتيح لهم تجربة هذا النّوع من المشاعر.
الروز فكّر.

انحسرت الموسيقى اللطيفة المرافقة للمشهد مفسحة المجال للرسالة التالية بالظّهور *هذا الكائن المنقرض والذي أطلقنا عليه اسم 'عاشق' عاش هنا على سطح كوكبنا قبل آلاف السنين، حصل العلماء على هذا المشهد الصّغير من حياته برفقة عدّة مشاهد أخرى بالاستفادة من تغيّر ذرّات الأشجار الخالدة التي عاصرته. يتوقّع الخبراء أنّ خاصية الحمل ستكون مفيدة للروزين ولتطوير علاقاتهم الاجتماعية*
عندما قرأ ٠+ هذه الكلمات المنمّقة لم يتراود لذهنه سوى توقّع عمّا قد يقوله صديقه الوحيد لو أنّه قرأ هذا، كان بالتأكيد ليسخر قائلاً "هل تظنّ أنّ غايتهم هي إفادة الروزين فعلاً؟. أنا أجزم أنّهم يسعون للمزيد من التّجارب المجنونة" ضحك الوالد القادم فتلقّى نظرات غريبة من الموظّف الموجود على الجهة الأخرى للطاولة، وهو في هذه اللحظة ممتنّ جداً لوظيفته التي تحصّنه ضدّ التّجسّس على أفكاره الدّاخلية من قِبل أمثال هذا النّزق الذي يقابله الآن ويتحرّق ليعلم سبب ضحكه.
اهتّز الجهاز اللوحي معلناً عن سؤال جديد *ما طول مدّة الحمل التي تفضّلها؟ علماً أن أقصى مدّة هي خمسة أشهر*

نقر ٠+ إجابته في المربّع الأرجواني الفارغ *خمسة أشهر*
وبذلك انتهت الاستمارة الأولى وطُلِب منه التّوقيع وكلمة مرور مميزة.
-

كانت آخر استمارة تخصّ طريقة الاستنساخ التي يفضّلها. ولكن مجدداً هو تذكّر تعليق صديقه السّاخر على هذه المسألة "هم يعلمون أنّ لا أحد سيختار طريقة الاستنساخ الطبيعيّة. أساساً الروزين

انتقلوا للطّريقة التّقنيّة لتجنّب تسليم أنفسهم للمجهول. صدّقني، حتّى مَن يتشدّق بعبارات التمجيد لن يقبل بالاستنساخ الطّبيعي طالما أنّه يتّم بسريّة"

كان صديقه هذا يعتقد ويكاد يجزم أنّ السّريّة التي فُرضَت حديثاً على عملية الاستنساخ الطبيعيّة تخفي الكثير من التّلاعب و*التجارب المجنونة* على حدّ تعبيره.
وبالرّغم من أنّ ٠+ والكثير من الرّوزين الآخرين يفضّلون الطّريقة التّقنية لسبب بسيط وهو أنّها تتيح التحكّم بجينات الطّفل القادم من قبل الأصل الأم وليس فقط من قِبل الخبراء، ولكنّه يعلم أن صديقه محقّ على الأقل بقوله إنّ التعديل سيتمّ بكلتي الحالتين...

-

اختار الروز المحظوظ لهذا اليوم عدّة صفات مميّزة لطفله القادم محافظاً ما أمكنه ذلك على الصّفات التي تفرّدت بها عائلتها منذ القدم، وراعى أيضاً حقيقة أنّ طفله القادم سيمضي ثلاثين عاماً على كوكب أزرق بعيد...
في النهاية ترك الروز خليّته الخاصّة بالاستنساخ في المختبر وسيعود بعد عدّة أيام _بعد أن يتلقّى اتصالاً من المركز_ لإجراء عملية زراعة الجنين (نسخته الصّغيرة)
الجنين-النّسخة الذي سيصبح لاحقاً أحد الصّغار التوائم توجّب عليه أن ينتظر لخمسة أيام يخضع خلالها لعدّة اختبارات ويُزوَّد بما من شأنه أن يساعده على الحياة وبالتأكيد النّمو بداخل حاضنة اصطناعية ستوضع بداخل جسد الروز-الأصل له. وسيكون رسميّاً منذ ذلك الحين النّسخة رقم ٢٠ لعائلته، ورقم ١ لأصله المباشر.
(نصّت القوانين الجديدة على قصر النسخ للروز الواحد إلى نسخة واحدة بدلاً من *نسختين اختياريتين* التي عُمِل بها في الماضي).
الروزين هم سكان كوكب أفيلوس مفرد الكلمة روز

الفصل الثامن

"سيندل؟". صاح الطّفل الأسمر دالفاً إلى الكوخ الخشبي الصّغير باحثاً عن توأمه.

دار في المكان الضّيق متتبعاً آثاره عبر بقع الصّلصال التي خلّفها الصّبي ورائه، وصل نهايةً إلى غرفتهما المشتركة حيث تُرِك الباب الأسود مواراباً، وناله نصيبه من البقع والتلوّث...

في الغرفة كان سيندل الصّغير يجلس أرضاً بأقرول جينز فاتح من دون أكمام وتحيطه الأصداف الملّونة من كلّ جانب.

"هاه. ما هذا؟. ماذا تفعل؟". تساءل كارل ببلاهة

صاح الطفل الآخر دون أن يَحيد بنظره عن أصدافه: **"أهداني العم اوزيل هذه العينات وأنا أحاول تحجيرها. تعال لنجرّب معاً"**

هذا جذب التوأم الآخر. لمعت عيناه البندقية لتلائم اللّمعان السّاحر لجسده البرونزي المغطّى بملابس مخصصة للسّباحة عبارة عن قميص من دون أكمام وبنطال قصير، كلاهما بلون بنّي مقلّم بخيوط ذهبية.

اتّخذ كارل لنفسه مكاناً بجانب توأمه البشري، وتكفّل بغمس مجموعة من الأصداف البلاتينيّة بحوض الصّلصال، ضاغطاً إيّاهم بكمّ القوة التي تسمح بها ذراعاه الصّغيرتَان.

توقّفت يده في الهواء حاملة عيّنة متوسطة الحجم جافّة ونظيفة، والتفتَ نحو توأمه متسائلاً رافعاً حاجباً: **"هل لديكَ جِبس باريسي بالفعل؟"**

هنا ابتسم سيندل بغباء نافياً. ليضرب كارل جبهته العريضة بيأس.

ضحك سيندل مشيراً نحو أخيه **"لطّختَ نفسك"**

عبس كارل ولكنّه لم يفعل شيئاً إلّا أن استقام ناقراً كتف الطفل الآخر كدعوة للحاق به.

-

انتعل الاثنان أحذيتهما الجلدية المتشابهة ليخرجا من الكوخ. توقّف سيندل قليلاً ليقفل الباب. ثمّ هو تبع أخيه ليمشيا متجاورَين على الرصيف الحجريّ الضّيق المتّصل بالشّاطئ الرّملي.

ما هي إلا عدة دقائق حتى وصلا إلى بناء اسمنتي ضخم تعلوه لافتة بيضاء كُتب عليها بخطّ أسود عريض:

المستودع العلمي رقم ثلاثة تابع لشركة
BJU

حرّكا أعينهما في الأرجاء بحثاً عن الحارس المخيف المعتادة بالنّسبة لهما رؤيته في الأرجاء.

ولكن عوضاً عن الرّجل الثّلاثيني ذو الجسد المعضل وجدا الروبوت الأبيض الخاص به. والذي كان مخيفاً بذاته!

شُكّلت الآلة الذّكية نسبياً، لتبدو بهيئة مكعبات متراصة عمودياً.

زُرعت في مكعب القمة كاميرا رقمية قابلة للإحاطة تماماً وبدقّة ب٣٦٠ درجة من المحيط البعيد.

كان الروبوت بطول ١٧٠ سنتيمتر تقريباً. بالتأكيد هذه نقطة لصالحه أمام معتديَين خائفَين بعمر الثّالثة.

ناظر كارل توأمه متحدثاً بنبرة جدية آلية: **"لا سبب للخوف. الآن على الأقل. أوقفه مؤقتاً. احذف مقطع وجودنا، وانسخ آخراً غير مثير للشكوك لكي تضعه بمكانه بعد أن تجله طوله مماثلاً لمدة بقائنا هنا. ثم أفرِغ الطّاقة. وبذلك لا نحتاج إلى إعادة تشغيل هذه الخردة مجدداً عند انتهاء مهمتنا"**

ضيّق سيندل عينيه السّوداوتَين ليقترح: **"تبدو واثقاً كفاية. نفّذ أنتَ ما قلتَه للتوّ، وسأجلب الجبس أنا"**

"وهل تعرف كلمات المرور للأبواب التي تقود لخزنة الجبس؟. هه حتى تلك الخاصة بالخزنة نفسها أنتَ جاهل بها". قال كارل لاوياً شفتيه باستهزاء.

عبس سيندل وأنزل نظره نحو الأرضية الرملية بيأس، وقد أُحبطَت خطة هروبه بنجاح.

لماذا كان عليه أن يدع هذا التافه المتحاذق يرافق والدتهما بمفرده فيحيط علماً بكل هذه الأشياء المهمة؟.

ضرب الأرض بقدميه بقوّة عندما لمح الابتسامة الشريرة التي رسمها توأمه على وجهه.

ربّت كارل كتف توأمه كمدير متمرّس يحثّ موظّفاً هاوياً يعمل لديه

وتفادى ردّه العنيف المُتوقّع بأن أطلق ساقيه الصغيرتَين لريح النجاة قاصداً الباب الوحيد للبناء والمتواجد بأحد الجوانب، صُمم لكي يتوارى عن الأنظار بجانب العديد من أشجار النخيل الوارفة.

حدّق سيندل بالآلة الطويلة بطبقة من الشرّ من شأنها أن تخفي خوفه العميق.

وتقّدم نحو الحارس الآلي ببطيء وثبات لا يلتفت للخلف أبداً أو للجانب حتى...

-

في الجهة الأخرى، توقف كارل أمام الباب الحديدي العريض والذي يعانق السّماء في نظر الصّغير المتحمس لأنّه أفلح في الهروب من المهمة الأصعب.

كان يعلم أن للباب ثلاثة طرق متداخلة للحماية. واحد: بصمة رئيس المستودع. اثنان: بطاقتان يملكهما كل من أمين المستودع والحارس. ثلاثة: رمز مرور مكون من عشرة أرقام وثلاثة حروف يعلمهم جيداً

تكمُن الصّعوبة الحقيقية في أنّ رمز المرور دوناً عن الطّريقتَين الأُخريَين مخصص لأوقات محددة.

ولكي يفعّل وضعية الطوارئ هنا والآن عليه أن يعطّل جرس الإنذار أولاً.

"**حسن. لدينا عقبة واحدة**". حدّث الصّغير نفسه بصوت مسموع ضعيف الشّدة.

عقص شعره متوسط الطّول بحلقة مطاطية كانت تحيط بيده الضّئيلة. وهمّ في تسلّق الجدار حيث توجد عند قمته علبة سهلة الفتح يسكنها الجرس عديم النّفع عملياً.

بنقرة واحدة كتمَ الجرس. هو متأكد أنّ مَن صنع هذه الخردة أحمق. أو ربما كان لصّ فقط؟. ما فائدة زرّ الكتم إذاً؟!.

أغلق الطفل الباب خلفه فور دخوله. واتجه مباشرة نحو الممر الذي ينتهي بالغرفة الواسعة حيث يتواجد هدفه المنشود.

بسهولة فتح جميع الأبواب المقفلة التي اعترضت طريقه. وحصل على غايته ليخرج قافزاً بسعادة كادت أن تنبثق من عينيه الواسعتَين.

عندما عاد إلى موضع توأمه وجده وقد أتمّ العملية بنجاح وإتقان

فقال مغيظاً: "**أحسنت. أنا أتوقع لك مستقبلاً مبهراً**"

كشّر سيندل بشراسة ولكن عندما رأى ما يحمله كارل بيده نمت ابتسامة جميلة على وجهه تدريجياً وسرعان ما كبُرت حتى إنّها كادت تحدّ أذنيه البيضاوَين النّافرتين بلطف عن رأسه الصّغير.

عندما وصلَ الطّفلان إلى المنزل، تصنّما أمام السّيارة السّوداء التي يعرفاها جيداً. هي تخصّ السّيد اوزيل زميل والدتهما في العمل على المشروع الجديد.

غالباً هي لن تؤنبهما أمام الرّجل، ولكنّهما لن ينفذا من هذا بالتأكيد.

همس سيندل في أذن أخيه: **"هل تركتَ الأشياء على حالها؟"**

رمقه توأمه بسخرية **"وهل بالصدفة أنتَ نسيت أنّك جررتني خلفك دون تمهيد؟"**

عندما تذّكر الاثنان وضع الكوخ الملطّخ تماماً رفعا أكتافهما ضاحكَين بشدّة. وتقدما باتجاه المنزل بغير اهتمام بما يحملانه. هل سيشكل فرقاً حتى؟

-

الفصل التاسع

Gabriel POV

قبل ساعتين تقريباً، وبينما أوضّب حقيبة روميرو تلقيت اتصالاً من معلمته كايتي

أجبت بواسطة السماعات

"للتو فقط رأيت رسالتك. هل تودّ مني المجيء لأجل الاعتناء بالصّغير؟ للأسف لا يمكنني ذلك اليوم"

"أنا أعلم ذلك بالفعل، آنسة كايتي. في الواقع، كنت سأطلب أن أبقيه لديكِ لبعض الوقت، هل أنتِ متفرّغة؟"

"حسناً، إن كان الأمر كذلك فأنا في انتظاركما"

يا إلهي، هي لطيفة بطريقة تعتصر القلب. فكرتُ. لأجيبها: **"أنا ممتنّ فعلاً شكراً لكِ"**

" يا!!. لا تقل ذلك. أنا أحب قضاء الوقت مع روميرو الصغير"

ودّعتها لأقفل الخط. ومن العدم سمعت انتحاب طفلي **"بابا دعني أتحدّث معها أنا أيضاً"**. قال ذلك بينما يتشبّث بقدمي وينظر إليّ بتينك العينين اللطيفتين والملامح البريئة عند الرجاء، وعند الرجاء فقط.

"اشش. أنت ستبقى لديها لساعتين كحد أدنى. هذا يكفي"

"وهل أنتَ تغار مني الآن؟ ما هذا السلوك من والد؟"

جادل يتخصّر أمامي لأضربه بعبث.

"أنت تجعل الشخص يفكّر مليون مرة قبل أن يشاركك أسراره"

"أنت تعلم أن سرّك محفوظ جيداً. ولكن لا ضير من بعض المرح".
ابتسم في نهاية كلامه يغمز.

"هيا يا بئر أسراري أطفئ الأضواء واتبعني للخارج"

"هاي هاي كابتن"

وركض نحو المطبخ

"قلتُ لا تركض". صرختُ عليه ولكن هذا لا ينفع، علقتُ مع ولد لا يعرف ما معنى الإطاعة.

طفلي روميرو، الوحيد. أثمن مَن أملك.

قبل حوالي ثلاث سنوات. كنت حينها وزوجتي ننتظر طفلاً

كانت أسعد أيام عشتها أبداً

اليوم أتذكرها كحلم جميل.

ومعها أتذكر زوجتي الراحلة، حبيبتي جيزيل.

كان حملها يسير على خير ما يرام ولم نفوّت موعداً مع الطبيب الذي طمئننا على حالها والجنين على الدوام.

استمر ذلك حتى دخل حملها في ثلثه الأخير.

ظننا أنّنا قطعنا الشوط الأصعب وما تبقى هيّن، ولكننا كنا مخطئَين.

في يوم، أخبرتني أنّها تشعر بثقل إضافي في جسدها.

لم ألقِ للأمر بالاً، خصوصاً وأن الطبيب لم يفعل أيضاً

أما هي، فبقيت مصرّة على رأيها! هناك شيء أُضيفَ حديثاً، هذا حقيقي! لطالما سمعتُ منها أقوالاً مشابهة.

في النهاية، قررنا التأكيد من الأمر لأنّ هذا روّعها حقاً

من خلال الفحص الحي، أكّد الطبيب مجدداً أنّ الوضع طبيعي ولا شيء بدا له غير مألوف.

ذهبنا لطبيب آخر، وآخر، وآخر

الطبيب رقم أربعة، كان عندما علمنا ماهية الأمر. تقريباً

لاحظ الطبيب أجزاء صغيرة تشارك جنيننا مسكنه. أشلاء إن شئنا الدقة.

وتوصّل إلى اعتقاد مفاده أن الرحم احتوى على توأم طيلة الوقت، ولكن في مرحلة ما، هما التحما، ولم يبقى الآن سوى واحداً وأجزاء من الآخر.

أخبرنا أن هذا حقيقي، ليس شائع الملاحظة، ولكنه موجود، وبنسب مئوية يعتدّ بها.

أما كيف لم يعلم زميله الأول؟ هذا ما لم يستطع الطبيب تفسيره أبداً

بالنسبة لي؟ كان كلامه منطقياً

أما فيما يخصّ جيزيل؟ فهي لم تقتنع بهذا أبداً

حتى لحظاتها الأخيرة، كانت موقنة تقريباً أنّها حملت بجنين واحد، ثم أصبحا اثنان، ليعودا واحداً بعدها.

خسرناها أثناء الولادة.

ولا يهمني ما كان عليه روميرو حقاً.. هو طفلي الوحيد، وآخر ما تبقّى لي من خليلتي الراحلة.

في غضون ربع ساعة تقريباً، كنا نقف أنا وطفلي المتحمس أمام البناء السكني ذو الستة طوابق حيث تقطن معلمته.

في الحقيقة، لم يكن روميرو هو الوحيد المتحمس بيننا! أنا أيضاً كنتُ كذلك...

أمسكتُ بيد صغيري أأرجح يدينا بتناغم. بينما تستقر حقيبته

الصفراء المملوءة عن آخرها على كتفي.

وكنت قد اتصلت أُعلم المرأة الشابة بحضورنا منذ هنيهات قليلة.

فُتح الباب الحديدي تظهر الآنسة من خلفه ترتدي ابتسامتها المشرقة والجذّابة ذاتها، مع فستان أزرق سماوي بسيط يصل حتى ركبتيها يصاحبه حذاء منزلي مُصمتاً أبيضاً، كان على نفس المستوى من البساطة.

حيّتنا بتلقائية تقبل وجنة روميرو تتذمّر من برودتها بلطف.

ثم أخذت بيده نحو منزلها بعد أن ناولتها الحقيبة لتتذمر مجدداً ولكن هذه المرة من ثقلها المزعوم.

بجدية! قطعة القماش تلك كانت مملوءة بالبسكويت الحلو والمالح ولا شيء غيره!

ولكن على مَن أكذب؟ لو لم أكن متأخراً عن ميعادي بالفعل لحملتها عنها حتى الشقة!.. وإن كانت ليست بالثقيلة لا مشكلة حقيقية في هذا...

شيّعتهما بناظريّ لأضع نظاراتي الشمسية أتهيّأ للوجهة القادمة.

-

أخذ الأمر مني نحو نصف ساعة سيراً على القدمين إلى أن وصلت.

من واجهة المتجر الزجاجية لمحتُ ميشيل، أصغر عناصر وحدتي؛ ومن بين أكثرهم كفاءة، هو الآن يؤدّي مهمة قد يرى كثيرون أنها لا تناسب سنه أو خبرته.

ولكنّي ارتأيتُ العكس، هذا الشاب هنا وُلد ليخوض في أخطار هذه المغامرة.

قبل ستة أشهر تقريباً توصّلنا إلى معلومات قيّمة عن عصابة خطيرة عانى أفراد وحدتنا لسنوات في البحث والتنقيب خلفهم.

ونحن الآن بحاجة لبعض البيانات المساعدة الإضافية فقط وسنتمكّن من الإطاحة بهم، وكان الشرطي المثابر ميشيل هو خيارنا الأمثل.

في البداية، كدتُ أتراجع عن المَهمة حقاً، مظهر الفتى اللطيف وقد عشعش الرعب في عينيه الفتيتَين آلمني، ولكن حمداً للرب لم أُصغِ لقلبي في حينها، لأن الرهبة الخام تلك استحالت حقداً نشيطاً قابلاً للانفجار بأي لحظة ليجرف معه كل مَن خلقوه وعلى رأسهم العقل المدبر اللعين ذاك أو كما يُسمّيه فتاي الشجاع ‹**جوهر الشيطان**›.

عندما وصلتُ لطاولته حييته بإيماءة سريعة محاولاً الحفاظ على تعابيري هادئة لعلمي بمدى تأثيرها على عزيمة الصّغير أمامي، وبذات الوقت أبقيتُ عينيّ على المحيط تجنّباً لأي شيء قد يُفسِد عملنا.

"**شاي الزهور المعتاد؟**". سألني لأومئ فيطلب اثنين من شاي الأزهار العطرية المختلطة لنا،

نحن نتقابل في محل الشاي هذا للمرة الثالثة، سبقته حديقة عامة وما

كان قبلها هو نادي لتعليم الرقص.

"ما أرسلته في الصباح هو كل ما تحصّلتُ عليه طوال الشهر الماضي. ولكن هناك تفصيلَين -لا أدري إن كانا كذلك حقاً- ظننتُ أنّك بحاجة لتعلم بشأنهما بشكل مباشر"

قال من دون أي انفعالات قد تثير جلبة لأرفع حاجبي مبتسماً أحثّه على الإكمال، إن أردنا تعريف هذا الشاب بعبارة فستكون ‹المُقتات على التحفيز›، وبدوري لن أبخل عليه بذلك أبداً

"في الماضي، كان لجوهر الشيطان صديقاً حميماً، ولكنّه اليوم يعمل لصالح الأعداء. أو هذا ما يُظهرانه لا أكثر"

أعلن منهياً عبارته بتوقّع، وعليّ أن أعترف، تنبؤاته نادراً ما تخيب، هي دقيقة حدّ الحقائق!

"هل تظنّ أنّه مدسوس من قبل رئيس العصابة بين صفوف الأعداء؟"

سألته ليهزّ رأسه مؤكداً **"أنا محتار حقاً كيف انطلت هذه الخدعة المفضوحة على الجميع! هما يدعيان العداوة وكل شيئ ولكن ما يزال لو دقّقت للحظات قليلة ستعلم ما يخفيانه. ما أنا على يقين منه كاسمي وأكثر، أنّ جوزيف ذاك هو ممثل فاشل. بجدية لا أعلم كيف للشيطان خاصتنا أن يثق بأرعن مثله!"**

ضحكتُ. هل تحدّثتُ مسبقاً عن كم هو ظريف بيدقنا الصغير؟، لا؟، إذا لتعلموا، حظينا بمَن يحمل اللطف في دمه الثائر وأخشى أن يُسرَق بغفلة منا فنعود خالييّ الوفاض مجدداً.

"بجميع الأحوال، زوّدتك بكل ما استطعت جمعه عن المدعو جوزيف. وما تبقى يقع على عاتقك". قال ومَن يسمعه سيظنّ أنّه يتنصّل من المسؤولية.

ولكن أن تعيش رفقة وحوش عطشة للدماء قرابة ستة أشهر لهو شيء صعب لتحمله بمفردك.. خصوصاً إن كنتَ مجبراً على كسب ثقتهم ولو على حساب راحتك النفسية...

"تلميذي الجميل! أنا فخور بك. أنت تعلم؟ أتمنى أن يكبر روميرو ليصبح مثلك"

احمرّت وجنتاه بشراسة ووددتُ لو كان بمقدوري أن أقفز إليه الآن فأبعثر شعره الناعم وأقرص تينك الوجنتين الطريتين. هو حقاً يذكّرني بطفلي!. وأظنّ أني محظوظ كفاية إذ التقيته بعد أن عشت الأبوة، لو عرفته قبل حين ربما لم أكن لأدرك كنه هذه المشاعر النقية أبداً...

"إذاً. ما هو التفصيل الثاني؟". طرحت سؤالي أنبّهه إلى حلول أجل هذا اللقاء.

"آه عن هذا. إن طلبتَ الحقيقة، فأنا لا أعلم الكثير عن طبيعة الأمر، ولكن هناك يد خفية تتعامل معها عصابة العين. يبدو أنه شخص خطير ولكن مما فهمت أنهم لم يملكوه بشكل كلي. هو يعمل لصالح مَن يدفع أكثر! تصوّر!"

كان متعجباً بحقٍ. وقلّما رأيته منغمساً بأخبارهم هكذا.

"ولكن، إن كان كذلك فما الذي يجبرهم على إبقائه؟"

"لا أنت لم تفهم! هو لا يعمل لديهم.. مما يبدو لي أنهم هم مَن يعملون معه!. وأظنّه يملك شيئاً يجعله مهماً لهم بحيث يعجزون عن الاستغناء عن خدماته"

"ما مقدار ما تمتلكه من معلومات عن هذا الرجل؟"

"امم بشأن ذلك. للأسف لم أحط بالكثير من المعلومات. تمكنت فقط من معرفة اسمه ومكان عمله الرسمي. ولا شيء أكثر من ذلك"

تحدّث بخيبة أمل تقريباً. أحقاً هو لا يدري أن الحصول على معلومات كتلك ليس من مهامه حتى؟!

"هذا سيكون أكثر من كافٍ بالفعل. والآن عليّ أن أغادر. اعتنِ بنفسك. وتأكد من طلب المعونة من عملائي الذين عرّفتك بهم إن احتجتَ لذلك. لا تنتظر حتى تسوء الأمور! وتذكّر أنّ حياتك وسلامتك يُغنيان عن أيّ نجاح قد يحشرك في المخاطر!"

قلتُ مؤكّداً ومنحته ابتسامة مطمئنة.

بإمكاني الإحساس بكمّ الخوف الذي يعتريه بالرّغم من كل ما تُظهره ملامحه الوديعة من هدوء؛ بالنسبة إليّ لا يدلّ هذا الهدوء إلّا على مهارة في الادّعاء اكتسبها بالطّريقة الصّعبة عندما وجد نفسه فجأة محشوراً في تلك الغياهب المخيفة.

-

الفصل العاشر

نافذة بيضوية الشّكل توسطت الجدار المطلي بأزرق باهت، أشعة الشّمس الرّبيعية اللطيفة كانت قد اخترقتها منذ ساعات الصباح الأولى، ومرّ على ذلك بعض الوقت لآن، تنير الغرفة الصّغيرة الهادئة على نحو مريب بالنظر إلى مَن يشغلوها حالياً.

عشرة أطفال بعمر الخامسة توزّعوا على مقاعد بذات العدد، ضئيلة تلائم أحجام أجسادهم في طور النمو، مطلية حديثاً بلون مشابه لرمال الشاطئ، رائحة الدهان الطازج ما تزال تملأ الأجواء، مختلطة مع الرذاذ العطِر المتطابق لسائر الأطفال المتواجدين، والذي يناقض في حدّته ما يصدر عن عروق الأستاذ الشاب النابضة بإيقاع قوي غير منتظم سببه انهماكه في شرح المعادلات المنقوشة على السبورة البيضاء بأقلام ملوّنة ما بين الأحمر والأزرق، تبدو بمجملها بسيطة غير متكلّفة ولكنّها بالتأكيد ليست بهذه السهولة بالنسبة للصغار المُنصتين بكامل تركيزهم؛ عدا عن صغير واحد.

ذلك الطفل الغائر بجسده الضئيل في قميص بنصف أكمام رفقة بنطال قصير مثبّت على خصره بحزام مشدود بإحكام، قدماه بداخل الحذاء الرياضي أبيض اللون متأهبّتان لما يغوص به بمليء تركيزه، هيئته توحي أنّ ما يفتعله دماغه من تشويق يختلف تماماً عمّا يدور في الحجرة من أحداث رتيبة.

مَن يجاوره بالمقعد نظر نحوه بطرف عينه يراقبه يحاول استنباط ما يدور بداخل دماغه المتقد على الدوام، يستغلّ اللحظات القليلة التي يقتطعها المعلم لغرض الارتواء ببعض الماء أو السماح لرئتيه باختطاف عدة أنفاس حرمها منها أثناء انغماسه في الشرح والتلقين.

حين أحس لوكاس بنظرات أخيه قرر إطلاعه على متعته الفردية.

يقرر أنّ توأمه المُجتهد يستحقّ جرعة من المرح بين الحين والآخر.

بينما كان المعلم يستدير ينهال على السبورة بالكتابة وفمه الثرثار لا يكفّ عن التفوّه بما يبدو أنّه يعادل طنّاً من الكلمات والقوانين الغريبة على الأطفال المنكبّين على كراساتهم يدوّنون ما تراه أعينهم وما تسمعه آذانهم مما يستدركوه مع السرعة الرهيبة التي تتصف بها سلوكيات الرجل أمامهم.

في تلك الأثناء ظهرت قطة مرقّطة صغيرة الهيكل مقابل الباب المفتوح عن آخره، تدلف إلى الغرفة تكسب انتباه الصغار ومن ثَمّ المعلم، تسير بمهل وأحياناً على عجل، فقط كما يريد محرّكها.

قرص بيتر فخذ الطّفل بجانبه يتسبب بصدور صرخة متألمة عن أخيه، وجفول القطة تقفز مع مواء عالٍ تهرع باتجاه الباب تتوارى خلفه بسرعة.

عاد المعلم للشرح مجدداً، هذه الأحداث قد تكررت كثيراً مؤخراً تجعل من السهل عليه تجاهلها والمضي قدماً

ومثله فعل الطلاب يعودون إلى درسهم بعد انقضاء المهلة البسيطة.

"كفاكَ لهواً. وانتبه لما يقوله المعلم"
هسهس بيتر ينهر توأمه.

الذي اكتفى بهمهمة لا تدل على اهتمام حقيقي كإجابة.

ولكنّ لوكاس وما أن حظي بقرصة مؤلمة ثانية، قرر التركيز قليلاً، لم يتبقى الكثير على انتهاء اليوم الدراسي على أية حال...

-

في الممر خارج قاعة الدراسة سار التوأمان معاً، بجانبهما فتاة صهباء بشعر متوسط الطول مموج، مع صبي يتميز بقصره عن أقرانه؛ خصلاته الذهبية تذكّرهم بالسنابل التي شاهدوها لأول مرة في الرحلة التي أقامتها إدارة الميتم منذ شهر أو نحو ذلك.

أمام الغرفة المشتركة ما بين التوأمين، دخل الأربعة في مسرحية من فصل واحد يتمحور حول وداع زائف حارّ وصاخب، استخدموا خلاله كل أنواع الأفعال والأقوال التي يستدعيها مثل هذا الموقف وكانوا قد تعرّفوا إليها مسبقاً.

دخل الأخوان غرفتهما ذات الباب المعدني المطابق لسائر الأبواب في الردهة، وتابع الطفلان الآخران المسير، يختلقان حديثاً آخر ليخوضا فيه إلى أن يحين افتراق مُجلجل آخر...

-

تمدد لوكاس كنجم بحر على السرير الخاص به، والواقع إلى جوار النافذة المطلة على باحة المركز، التي تتسع لعدة أشجار، تتوزع حولها عدة مقاعد خشبية عريضة.

ما يزال بملابسه ذاتها، حقيبته القماشية سوداء اللون، والتي تعلوها رسوم من كرتونه المفضّل مرمية بإهمال بجانبه.

رأسه الصغير ذو الخصلات العسلية المنسدلة تلامس مع القماش الناعم الذي يغطيّ وسادته القطنية، يستمع إلى المياه المتدفقة في الحمام الصغير الملحق بالغرفة حيث يتواجد توأمه الآن.

"ألا تتعب؟"

صاح لوكاس ملأ شدقيه يتأكد من أن صوته صدر عالياً كفاية لأن يسمعه كتلة الوساوس في الداخل.

هو لا ينتظر جواباً. ولكنه ابتلي بأخ لا يفقه في التهكم حتى...

"بلى أتعب. ولكني بحاجة لبعض النشاط لكي أذاكر ما أخذناه اليوم"

ردّ بيتر بتلقائية.

يدعك خصلاته الطويلة السوداء بواسطة منشفة صغيرة بيضاء تتوسط كفيه

يرتدي منامة وردية اللون مريحة

اتخذ لنفسه مكاناً أمام طاولة دراسته، يسحب كتابه من خزانة كانت ضمن هيكل الطاولة المعدني

كل هذا حدث بمراقبة من العينين المحمرتين قليلاً، المضيّقتين بالرغم من صغر اتساعهما الطبيعي. تأفأف صاحبهما يتساءل:
"أحقاً لا تَمل من الدّراسة؟"

"بالطبع، فهي مملة بعض الشيء
ولكنّ عليّ المذاكرة الآن لأننا سنلتقي بحلول المساء مع ماغي وكريس في صالة الألعاب ألا تذكر؟"

تفوه بيتر بالكثير بالفعل. أومأ لوكاس فقط لكل ما يثرثر به أخيه

هو يعلم أنّ المجتهد بجانبه لا يحب الثرثرة، غير أنّه يفضّل قول كل شيء لديه دفعة واحدة لكي لا يقطع فترة دراسته المقدسة بعد قليل إن توجب عليه ذلك بطريقة ما...

"أيقظني قبل العشاء"

قال لوكاس ذلك وانقلب إلى الجهة الأخرى يسحب الغطاء حليبي اللون يدثّر جسمه به.

ويخيّل له أنّه سمع همهمة من توأمه بينما يتسلل وعيه إلى عالم الأحلام.

يترك أخيه بثقة يعلم أنّه لن ينام الآن بينما لديه واجبات وفروض ليهتم بشأنها، وبالتالي لن يفوتهما العشاء، ولن توبّخهما المشرفة...

-

بعد مضيّ ساعة تقريباً. رفع الصّبي رأسه عن كراسته يناظر سرير شقيقه مع بعض الشّفقة.

راقب بيتر هيئة أخيه النّائم، يستنشق بثقل مجهش ببكاء مكتوم؛ دائماً ما يراه يخوضه، ولكن مهما حاول استنطاقه لن يأتي بشيء مفيد...

ورغم أنّ عينيّ توأمه الجميلتين حمراوين على الدوام، إلا أنّ الأخير لم يسمح له يوماً بالمواصلة في الحديث والاستجواب لما يزيد عن خمس دقائق.

هو يتوقع أنّ ذلك يعود لخوف شقيقه من مفارقته. ولكنّه غير متأكد تماماً.

بإمكانهما الحصول على عائلة بالتبني ترعاهما سوياً بعد كل شيء، صحيح؟

ربما سيكون في الأمر بعض الصعوبة. ولكنّهما تعاهدا على ألا يفترقا مهما حصل...

أضخى بيتر السّمع يتجاهل بكاء شقيقه قليلاً، شيء خطير يحدث!.

صوت نحيب يعرفه جيداً وصل إلى أذنه خافتاً من الغرفة المجاورة، استقام يحثّ خطاه بهدوء باتجاه الباب يفتحه قليلاً يحاول التقاط المزيد من الأصوات علّه يفهم ما يجري...

"سيدة ميري أرجوكِ نحن نعتذر"

هذا كان كريس، الرجاء والقلق في صوته جعلا بيتر يقبض كفّه بغضب، هو يعلم ماهية ما يحدث جيدا!

هو بوسعه تخيّل الموقف، تخطّتْ ماغي موعد القيلولة لتبقى مع كريس في غرفته يرسمان

هذا يحدث أحياناً

يليه مشهد محروق آخر: ماتيو شريك كريس في الغرفة سيشي بهما للمشرفة ميري التي ستصرخ مع رطل من اللؤم بمحاضرة مملة عن الأخلاق والالتزام بالقوانين وترهات كثيرة مشابهة.

ولكن لمَ يشعر بيتر اليوم بانقباضة غريبة في صدره؟ أيعقل أن تطوّراً سيئاً قد وقع؟

"أنا أتوسّلك اعفي عنها"

مرة أخرى امتزج رجاء كريس مع نحيب الفتاة

خرج بيتر متلصصاً يتبع الأصوات التي أخذت بالابتعاد منذ بعض الوقت

عليه تدارك الأمور قبل أن تنفجر فوق رؤوسهم

"يا أمي أرجوكِ أنصتي لنا، لن نفعل ذلك مجدداً"

بانفعال صاحت ماغي

نبرتها العصبية تناقض البحة في صوتها وكذا بكائها المتواصل

الآن تمكن بيتر من لمح الراهبة ميري تقبض على اليد الصغيرة للفتاة المغطاة بكم الفستان الوردي الذي ترتديه، تجرّها بشيء من القوة، كريس يتبعهما، عيناه الواسعتين تطلق شرارات حارقة باتجاه الرأس المتوشّح بالأبيض أمامه

عندما علم الصّبي أنّهم يتجهون نحوه تراجع بسرعة يتوارى خلف الباب، يراقب القافلة تسير أمامه.

يتأخر عنهم الولد النّحيل والطويل داكن الشّعر مجعّده، والذي يدعى ماتيو

تراءى لبيتر ما يشبه النّدم يتخلل عينيّ الصّبي الذي يتذيّل المجموعة.

ولكنّه يؤمن تماماً بما يطرحه توأمه من نظريات، لوكاس أخبره بوضوح وبشيء من الأسف أنّه يفتقر للحسّ السّليم في تحليل الطّباع والتصرفات، وهو ليس لديه أدنى شك في صحة ما يقوله نصفه الآخر...

ألقى بأفكاره بعيداً يتسلل ملاحقاً المجموعة، وهو كاد يفقد أثرهم.

في الرواق المُفضي إلى غرف الإدارة توقف بيتر يسمح لأذنيه اليقظتين بإخباره بما يجري من أحداث في مكان ما قريب عن هنا، يتوقع أنّه مكتب المديرة.

عدّة دقائق مرّت، خلالها استطاع دماغ الصّبي أخيراً استدراك ما يحدث.

الأمر الذي كان على قدر عالٍ من الخطورة، يستلزم تدخّلاً عاجلاً من جهته.

شقيق الأم ميري هنا، ذلك الشقيق الذي لا يمل من القدوم مراراً وتكراراً بنيّة تبني طفلة أو طفل؛ صغير وشقي لأنّه يبتغيه مساعداً له في شؤون الزراعة التي تقيمها عائلتهم منذ عقود، وهي ليست بالشيء الهيّن أبداً

هذا الرّجل المخيف بالنسبة لمعظم الأولاد هنا -بيتر بذاته يرتعد بمجرد ذكر اسمه-

صوته الأجشّ الخشن كان أكثر ما يرهب الأطفال. وأبداً لم يقبل أيّ منهم عرضه.

شيء آخر مخيف: القرية حيث يسكن، وهو ما تفضّله المشرفة بالتحديد وبإلحاح تواظب على مدحه وتجميله.

نعم تجميله، فمَن غيرها يرى التزمّت والتعصّب جميلاً؟

مديرتهم السيدة كريستين طيّبة ولن تجبر الأطفال على فعل ما لا يريدون، وبشكل خاصّ عندما يتعلّق الأمر ب'تخليّها عنهم لعائلة أخرى' كما تصف الأمر دائماً.

ابتسم بيتر يشعر بالاطمئنان أخيراً

للحظات قليلة فقط، ثم تذكر، الأم كريستين ليست هنا الآن! هي في زيارة لجدتها المريضة.

هل يعقل أن تُسرَق ماغي منهم بهذه البساطة؟ هو لن يسمح بهذا

ولكن ماذا بوسعه أن يفعل؟ هو لن يقف عاجزاً ولكنّه يخشى أنّه عاجز بالفعل...

"فكّر يا أخرق فكّر"
ناجى نفسه.

التوتر يطفح من ملامحه، يرتجف بارتياب مما هو قادم، والذي يدرك تماماً أنّه لن يكون جيداً بأيّة حال، إن لم يتدخل بشكل عاجل هنا والآن.

"نعم"
صاح من دون صوت، من فوره ابتهجت ملامحه النّاعمة النّقية يبتسم مع أمل ملأ عينيه.

فكرة رآها سديدة قفزتْ إلى دماغه، يختبئ جيّداً يقرر التّنفيذ حالاً من دون مماطلة أو تسويف ليس لديهم وقت ليضيعه

أغمض عينيه يستجمعه طاقته، هذا سيكون صعب ولكن عليه ذلك

وفي مكان ما من دماغه، علم أنّ لوكاس سيكون سعيداً لمعرفة ما أنجزه شقيقه

ولكن عليه أن يُحقق إنجازه أولاً، بإمكانه أن يفتخر لاحقاً

ركض إلى غرفته تجنّباً لأي خطأ قد يقع به، وإن ساءت الأمور فإن تواريه عن الأنظار سيحميه من أي شر محتمل.

-

في مكان بعيد عن هنا، وتحديداً في مزرعة ضخمة مهيبة على أعتاب غابة كثيفة الأشجار مرهبة في هذه السّاعة من الظّهر رغم خلو المكان من أي حركة سوى حفيف الأغصان على فترات متفاوتة مع كلّ هبة ريح تحمل من القوة ما يخوّلها لإحداث هذا التّأثير، وربما يرجع الرعب المحيط بالموقع إلى هذا السّبب أصلاً...

في غرفة ما مظلمة بداخل المنزل، استيقظ الجزء المُرسَل من وعي بيتر يتلفت حوله بضياع

مضى بعض الوقت على هذه الحال، يحاول استيعاب ما استجدّ من أمور.

وقبل ذلك كان قد توصّل إلى الموقع المُستهدف من الهاتف الخلوي الخاصّ بالمشرفة ميري.

في آخر لحظة ومباشرة بعد أن توصّل لهدفه أغلقته السيدة تتلو بعض الآيات تظنّ أنّ روحاً استحوذت عليه.
وهو تقريباً مشابه لما حدث فعلاً، ولكنّها لن تدرك ذلك ما حيَت...

ليتذكر أخيراً لمَ هو هنا، يتعجّل في تنفيذ مَهمته

هو في صالة فارغة، ربما غرفة معيشة، الأوضاع من حوله هادئة

انتصب واقفاً يذرع المكان جيئة وذهاباً، يبحث عن الهاتف الخاص بالأم كريستين

بعد لحظات وجده أخيراً يستقر على أريكة ما إلى جوار الجدار متصلاً بالشاحن، ولحسن الحظ بطاريته ممتلئة تقريباً ومن شأنها أن تسعفه فيما يريد صنعه...

التقط الجهاز الخلوي يفصله عن سلك الشّاحن وبتلقائية أدخل النمط الخاص بالأمان

يفهم أخيراً ما عناه توأمه. بأنّ جزءاً من الوعي غير كافٍ لأن يُسيّر الجسد، ولذلك هما يتوجب عليهما أن يتشاركا الجسد مع المضيف في أثناء التجسّد

لطالما حاول شقيقه شرح النقطة السابقة له، ولكن عبثاً، فهو لن يفهم ما لم يراه بأم عينه. هذه نظرية أخرى من خاصة توأمه التي يثق بشكل أعمى بصحتها

وصله صوت السيدة ميري من الجهة الأخرى للخط ترحب بزميلتها الأكبر سناً وأختها في الدين ترحيباً حاراً فهي قد افتقدتها بالفعل خلال الأربعة أيام المنصرمة والتي أمضتها الأم كريستين

بعيداً عن الدّار في حدث نادر وغريب عن طباعها السّاكنة فهي تمَل الخروج تفضّل البقاء رفقة أخواتها وأطفالها جلّ وقتها

ولكنّ الترحيب البدئي ما لبث أن تضاءل حين تلقّفتْ مُصدرته ما تُلي عليها من أوامر بضرورة إيقاف ما تفعله حالاً وإخبار أخيها المنتظر بأن: لا أطفال ليحصل عليهم من دارها!

بخجل أوصلت السّيدة ميري ما طلبته مديرتها للرجل الذي ثار من فوره يلقي بعض الكلمات البغيضة

يخلّف ورائه امرأة متوجّسة مما توجّب على رعاياها سماعه بسببها

وثلاثة أطفال مبتسمين يسمحون لأجسادهم الضئيلة بأن تستكين براحة أخيراً بعد ما مروّا به من أوقات عصيبة

يعودون لغرفهم بطلب من المشرفة يدّعون الهدوء والأدب رغم ما يعتمرهم من حبور يتطلّب صرخات مبتهجة صاخبة.

ولكنّهم سيرجئون ذلك حالياً، الأم ميري ليست أفضل كائن بالنسبة لهم، ولكنّهم لا يفضّلون مضاعفة حزنها، خاصة إن كان مَردّه هو قلقها عليهم وعلى تربيتهم التي تراها أسمى مَهمة كُلّفت بها وتحلم بصدق أن تكملها بحب وإخلاص ما أمكنها ذلك...

أعاد بيتر الجهاز إلى مكانه يصله بالشّاحن مجدداً

وقبل أن يغادر أمّه اللّطيفة، هو أجلس جثتها حيث وجدها في المرة الأولى يحاول تجنّب الإتيان بأي تصرّف قد يبعث على ارتيابها.

هو الآن قد أنجز مَهمته.

عليه إيقاظ النّائم

ربما تأخر قليلاً عن التوقيت حيث يفضّل توأمه أن يستفيق ويأخذ كامل وقته في تجهيز نفسه للعشاء ولموعد المرح التالي

بعد تفكير مطوّل _أخذ منه بضعة دقائق_ ، هو اتخذ قراره بالفعل: لن يخبر لوكاس بأيّ شيء، سيدعه يكتشف الأمر بمفرده، ربما لن يتسنّى له الاستمتاع بهيئة توأمه المتحمسة في أي وقت قريب إن لم يستغل الفرصة الآن!.

-

الفصل الحادي عشر

"لمَ تركتني نائماً لكل هذا الوقت! أردتُ توديع ديفيد"

صرخ الطّفل يضرب بقدمه فوق الأرضية.

الربيع في عينيه والذي ورثه عن والده تلائم مع منامته عشبية اللّون ذات القطعة الواحدة.

"وهل كنتَ لتودّعه فقط؟"

للحظة أغلق الأب آلة الحلاقة يتوجّه بسؤاله للطّفل العَبوس الواقف أمام باب الحمام

"لربما كنتُ لأستطيع اقناعه بالبقاء.. ولكنّك غير عادل"

مرّة أخرى احتجّ الصّغير لا يزال يرتدي عبوسه الظّريف

لم يكن من الأب إلا أن تجاهله يعيد تشغيل الجهاز الصّاخب بيده، يمرر شفرته فوق ذقنه الحليق جزئياً يصمّ أذنيه عن تذمرات ابنه.

تأفأف الطّفل ليغلق الباب يثرثر بشأن الإزعاج.

من ثَمّ هو توجه نحو المطبخ يصنع لذاته شطيرة يتناولها بنهم، بينما يبدأ مكالمة مرئية مع توأمه الذي قبلها وأخذ يثرثر من فوره يقلب

الكاميرا في كل الاتجاهات.

عدة أشخاص بالغين غرباء تحلّقوا حول شقيقه، بعضهم ينصب الخيام، آخرون يقفزون في الأرجاء؛ اعتقد نيل أنّهم يمارسون رياضة من نوع ما.

ولكنّه لم يلمح والدته في أي مكان فاستفسر محتاراً، ليخبره الصبي بحماسة تأكل ملامحه أن والدتهما تولّت مع زوجها مَهمّة تمهيد الطّريق.

سينتظر هنا رفقة الجميع عند الخيام، وابتداء من صباح الغد سيهمّون بالتسلّق.

"هل تقصد أنّك ستبقى بمفردك حتى الصّباح؟"

قطع نيل حماسة توأمه بسؤاله يتسبب في جفول الصّبي من النبرة اللاذعة المفاجئة.

"لستُ بمفردي. الجميع هنا هم أصدقاء ماما.
سأمضي الليلة مع زميلتها في العمل، رينا. هل تذكرتها؟"

"لا يهم. لا تغلق هاتفك. وإن طرأ أمر ما، فقط كلّم بابا. حسناً؟"
أومأ ديفيد بشدة مبتسماً بتوتر.

وعاد ليخبر الآخر عن محيطه غير المألوف بالنسبة إليهما، يمنحه شرحاً مختصراً عن كل ما تقع عينه عليه.

87

يجعل من نيل يتساءل بداخله للمرة الألف عن كيف يعرف توأمه الأحمق بكل هذه المعلومات الغريبة!

هو متأكد أن ديفيد لم يرَ جبلاً مسبقاً، وليس شقيقه مَن يُعمل دماغه في البحث والتقصّي.

إذاً من أيّ سماء أتى بهذه الكمية الضّخمة من المعلومات والتي لم يكفّ عن سردها حتى الآن، فقط كمُردّد آليّ ما؟

-

انتصف النهار وخرج الاثنان في 'مهمة خاصة بالأب والطفل' كما يحب نيل أن يدعوها.

تشبّث نيل بملابس والده، يجلس خلفه فوق الدراجة الهوائية التي تحرّكها قدما بام بسرعة متوسطة.

الولد لم يعلم يوماً بماهية وجهاتهما، هو فقط يستمتع في الأماكن المختلفة التي يصطحبه والده إليها؛ رغم غرابة ما يمرّان به في تلك الأوقات من مواقف وأحداث.

"بني ارفع قدميك جيداً وتمسّك بي. حسناً؟"

أومأ المعني بشدة يهيئ نفسه للحماسة القادمة

أما عن الأب فقد تسلل الذعر إلى رأسه فسيطر التوتر على جسده بأكمله

يلعن غبائه، ف لمَ استخدم هذه الخردة؟

ولكن نعم، نيل هنا معه.

وسوئه لم يصل لأذية طفليه بعد...

لعدة أيام هو شعر أنه مراقَب وبطريقة ما استطاع تحييد ذاته عن المتربصين.

ولكنه بوجود نيل، يخشى أنه سيصبح هدفاً سهلاً

"نيل هل ترى ناقلة الزهور الفضية؟"

التفت الطفل في الأرجاء يبحث عما يشير إليه والده بسؤاله.

وهو وجدها خلفهما تسير ببطء، من موقعه يمكن لأذنيه التقاط النغمات الهادئة الصادرة عن مذياعها

وهو أومأ يؤكد رؤيته لها، فقط لينهره الآخر عن الصراخ يخبره أن

يراقبها ولكن من دون جذب أي انتباه.

في البداية، لم يشعر نيل بأي أمر غريب، ولكن أن يرى ذات الرجل في مركبات مختلفة لمرات متتالية؟ القرد الخائف بداخله لم يستطع إلا أن يجزع لذلك.

مرسيدس عادية، حافلة، دراجة نارية، براد مثلجات، والآن عربة نقل زهور؟ هذا فقط مثير للريبة!

ولسوء حظّه، لم يتمكن أبداً من القبض على الرجل من مسافة قريبة كفاية لكي يحدد هويته.
وهذا ضاعف من ذعره أكثر بعد إن كان ممكناً حتى.

"كفى يا بني اصمت. انسى الأمر فقط"

في النهاية كان عليه أن يحبط آمال ابنه إذ تصاعدت بداخله.

حين أطلعه على طلبه أحس الأب أن حمى مجنونة تلبّست طفله، لربما يخال نفسه ممثلاً رئيساً في فيلم مطاردة أو شيء من هذا القبيل؟

"هل تنبّه لنا؟ هو هرب"

تذمر الولد يبدو بائساً حقاً

"بالتأكيد هو تنبّه! لن أتعجب إن أخبرني أنّه سمع صراخك بالفعل"

طرقع الصبي بلسانه غير مهتم حقاً

على الفور يجد لذاته شيئاً جديداً للتسلية، وكانت عائلة من القطط المرقّطة تتوسد الأرض بجوار بناء سكني ما.

جذبوه فأعمل تركيزه عليهم يراقبهم حتى تلاشت صورتهم تدريجياً، تختفي نهائياً مع اتخاذ والده منعطفاً في طريقه.

-

حرّك غابرييل المِقود يتأفأف، قدمه في الأسفل أصابها ملَله فتهاونت بدورها، بإمكانه سماع أبواق السيارات خلفه

هل ضاع جهده هباءً بالفعل؟

هل ستفلت الترقية من يده مجدداً؟

هذه السيارة المستأجرة رقم سبعة ولم يتقدم ولو خطوة واحدة

والآن قد كُشف أمره أيضاً! عظيم!

أضاء هاتفه المتوضع على المقعد المجاور يلمح صورة كايتي فانقلب حاله يتبسم، يدفن فشله بعيداً للوقت الحالي، يتذكر أنّ اليوم مميزاً بالنسبة لها.

الأدرينالين تدفّق لجسده يصل لقدمه أيضاً، وهذا منح بعضاً من الرضى في نفوس الأشخاص في السيارات المحيطة فكفّوا عن إزعاجه بضجيجهم المفتعل.

نصف ساعة مضت أعاد خلالها السيارة يتوجه إلى منزله بعد أن طلب من طفله أن يرتدي شيئاً مناسباً للخروج وينتظره.

وبالفعل ما أن استحضر بذاكرته الأرقام يدخلها في لوحة القفل حتى رأى الصغير متأهباً أمام الباب يبتسم بعرضة متحمس للوجهة التي يعلمها مسبقاً

"هل أحضرت الهدية؟"

لوّح روميرو بالحقيبة الحمراء في يديه مومئاً ليتخطّى والده الذي أطلق تذمرات عن كونه جائعاً وعطشاً وما إلى ذلك.

"اشتري لنفسك شيئاً ما في طريقنا"

تفوّه روميرو بالحل البسيط وتجاهل تعابير والده التي تستجدي الشفقة يخطف المفتاح من يده ليسبقه إلى المركبة.

"يا رجل"
صدرت العبارة عن الطفل المُحتجز ضئله بواسطة حزام الأمان.

"لست مجرد رجل أنا والدك".
بينما هو منهمك بالقيادة ردّ الأب.

"أياً يكن. لمَ لا نجلب هديتين؟ أعني. نحن اثنين!"
قال، يحدّق بلوم في مؤخرة رأس والده.

والأخير كرر ما لديه للمرة التي لا يعلم رقمها على مسمع طفله العنيد: **"أنتَ لا تفهم! الهدية منك بأي حق سأمنحها واحدة!"**

"أجل ولكن عندما تفلت منك لأحضان أحدهم لا تأتيني باكياً شاكياً"
مع تلويحة مستهزئة أردف الصغير.

"تأدّب يا ولد!"
زمجر غابرييل.

"هل تفهم خطورة الأمر حتى! لا أعتقد.
اليوم ستبقى وسنعود معاً ولا أسمح بالنقاش!"

قهقه الوالد.

وإذ شعر بجدية ابنه تسبح في الأرجاء قال بتوتر: **"بأي حجة سأبقى؟ أنت تلميذها هنا!"**

"ليكن بعلمك. أنا لن أدعك تتحامق مجدداً! اليوم أنا من سيتصرف"

ضحك الوالد بشدة.

في بعض الأوقات يخيّل إليه أنّه هو طفل الخامسة وليس مَن يجلس خلفه الآن.

-

في موقف السيارات القريب من المبنى السكني حيث تقطن فتاة عيد الميلاد ترجل غابرييل رفقة ابنه يقرران المضي سيراً على الأقدام.

فرق الطّول كان جلياً بينهما ومنحهما هالة مضحكة.

احتضن روميرو المكعب الثقيل نسبياً إلى صدره يحذّر والده مما أسماها 'حماقته المعتادة' وأنّه إن لم يتدخل الآن سيفقدان زمام الأمور مرة واحدة وإلى الأبد.

تجاهل الأب تذمرات صغيره يومئ على أي شيء يتفوّه به الآخر.

وفكر أنّه لا ضير من الدخول لما لا يزيد عن نصف ساعة.

ثم وحين يكون الصغير مشغولاً بأمر ما بإمكانه التسلل بهدوء منسحباً من المكان.

حسن. ربما سيُجبَر حينها على التعامل مع المزاج العفن الذي سيتلبس روميرو لا محالة، ولكنّه سيأخذ نتيجة أفعاله كرجل صبور

يتحملّها.

بحماسة ضغط الولد زر الجرس يستمع إلى الأصوات المتمازجة من الداخل، هو حقاً يحب هذه الأجواء!

التفت إلى أبيه يحذّره بعينيه من أن يحيد عن الخطة الذي وضعها بذاته.

وإذ أومأ الآخر، هو ابتسم برضى يدير رأسه صوب الباب تزامناً مع فتحه من قبل أحدهم

وابتسامته تلاشت ما أن لاحت له هيئة المُستقبِل.

لهذا كان على والده أن يتخلى عن حماقته!

هو رمق الأب بشيء من الحدّة في عينيه مثيراً لحيرته

وتأفأف بلؤم مقابل الشاب الذي انحنى يوازي طوله يرحب به

كاد يأخذ الهدية منه ولكنّ الصغير تمسك بها يتخطّاه بعد أن اصطدم به عن عمد يتسبب بفقدانه لتوازنه.

ساعد غابرييل الآخر في النهوض يعتذر بخجل عمّا بدر من طفله

وكان شاكراً تفهّم الشاب وتغاضيه عن الأمر ببساطة يخبره أن الولد متحمس فقط وهو يفهمه.

95

دلف غابرييل رفقة الشاب المُضيف يتساءل بداخله عن هويته؟ وهل يحمل طفله ضغينة من أي نوع للآخر؟

بلحظة تلاشت الأفكار من رأس الرجل وتخلخل الهواء من حوله يبقى أصمّاً أبكماً عاجزاً عن الإتيان بأي حركة

كان ذلك حين تمكنت عيناه من لمح هيئة المعلمة

كانت تقف في بقعة بعيدة، يتحلّق حولها عدد لا بأس به من الأطفال

لم يسع دماغ الرائي إلا أنّ يقاربها مع صورة زهرة تحوم حولها الفراشات تستجدين رحيقها والتمتع برائحتها العذبة

يبدو أنّها تنبّهت له بدورها لأنّها ابتعدت عن جوقة الفراشات ليستطيع أخيراً رؤية ما تزدهر به

شعرها المصبوغ حديثاً كان معقوصاً إلى الجانب ودبوس صغير على شكل زهرة تعلّق بنهايته

فستانها لا يختلف عن أي رداء رآها تزدان به يوماً، كان بسيطاً، خالياً من التكلّف أو أي إضافات لن تؤثر بجمالها، منسدل حتى كاحليها، لا يعكّر صفاء اصفراره شيء يذكر

حذائها ذو الكعب العالي كان بيد روميرو الذي يبعد عنها عدة

خطوات يحدّق به بنظرة أن: أحسِنْ التصرف.

وهو فهم الآن! طفله نبّها بوجوده يحثّها على الترحيب به

وصلت إليه أخيراً تمد يدها لتصافحه تنتشله من بحر ذهوله بهيئتها إذ غاص به وتلاطمت أمواجه العبقة بجسده فكاد يغرق

استقبل يدها بحفاوة يهنئها ويعايدها بحرارة

عبارات مديح وثناء عديدة انسلّت منه بغير إرادة أو تخطيط

بالتأكيد أرضت عبارات الغزل اللطيفة والضبابية الصغير المستمع

ولكنّه ذكّر ذاته أنّ والده البريء بحماقة سرعان ما سيستدرك ما تفوّه به فيندم ويبتعد.

وهذا حدث حقاً حين قهقه الوالد يعتذر عن تطاوله الذي لم يحصل أصلاً!

وكان روميرو شاكراً أنّ معلمته قد اعتادت هذه الحركات الغريبة التي يقوم بها والده...

وفكرة ظريفة ظنّها مفيدة قفزت إلى ذهنه ليركض من فوره ناحية مكبر الصوت الرقمي يختار أغنية رومنسية، وجد واحدة يحبها فابتسم متحمساً للقادم!

97

حين توجه للاثنين بغية حثّهما على تشارك رقصة وجد أبيه الأرعن
قد تراجع يقف بجانب سيدة عجوز ما -ليست عجوز حقاً ولكنّها
كذلك بالنسبة لروميرو-

"بالتأكيد يتحدّثان ببعض الأمور المملة"

تمتم الطفل لذاته وبانفعال حدّق بكأس العصير بين أصابع والده،
وكم تمنى لو كان باستطاعته تدميره نهائياً

ونعم عندما اقترب روميرو تأكد أنّهما يثرثران ببعض الأمور المملة
عن الدببة القطبية والاحتباس الحراري

"عصير! أين معلمتي؟"

صرخ بجانبه والرجل أشار بحاجبه إلى مكان المعلمة فقط، يدّعي
أنّ هذا الصّغير المُفتقِر للأدب لا يعنيه بشيء...

نظر روميرو شزراً باتجاه البقعة التي أشار إليها والده، فقط ليرى
ما جعله يكزّ على أسنانه غاضباً

عظيم! الآن هما خسرا رسمياً!

ربما لم ينتبه روميرو لكونه أخذ يهزّ قدمه اليسرى بعنف بينما عيناه تكفّلت بتصويب حمم ليزرية هدفها محدد؛ ألا وهو الرجل ذو الهيئة المألوفة والذي كان يراقص معلمته الجميلة في هذه اللحظة

ولكن الشاب من الاستقبال الآنف لاحظ غضب الطفل واضطراب إيماءاته وحركاته عموماً

ورغم أنّه لم يفهم تماماً ما يجري مع الصّبي، فقد تقدم منه يدعوه إلى كأس من المثلجات بهدف تقليل توتره

ما أن نكز كتفه حتى التفت الطفل يرمقه بحدة كهرّة شرسة يطالبه بتفسير عن سبب إزعاجه في هذا الوقت

وهو رفع يديه يُظهر نيته المسالمة يخبره بما جاء لعرضه

فكشّر الصبي بوجهه يرفض بوقاحة لم يتكبّد مداراتها حتى، يخبره أنّه لا يحبّ المثلجات وخصوصاً إن كانت منه!

تعجب الرجل الشاب من الرد الغريب وأشار إلى صدره مستفسراً إن كان الولد يقصده حتى!

وإذ تلقى إيماءة موافقة من الآخر هو ضحك محتاراً يتساءل عن السبب وراء هذا الكره الذي يتراءى له فطرياً غريزياً لا أكثر...

"هل أنت أب لأحدهم؟"

"هاه؟"

إذ باغته السؤال هو تفاعل معه ببلاهة

اقترب الطفل خطوتين يرفع رأسه محدقاً مباشرة داخل عيني الشاب، وبملل أعاد صياغة سؤاله: **"أقصد هل أنت أب لأحد الأطفال المتواجدين هنا؟"**

"اوه! لا لست أباً لأحد. أنا شقيق كايتي وأدعى فابيو"

بغرابة ابتسم الولد لأول مرة يضرب صدر الرجل أمامه بخفة

"ولمَ أخفيتَ الأمر؟"

"لم أُخفِ شيئاً"

هذا كان رد فابيو على السؤال الغريب الأخير

"لا عليك. هل عرض المثلجات لا يزال قائماً؟"

مع غمزة ظريفة تساءل روميرو.

رفع فابيو حاجباً يذكر الولد أنّه يكره المثلجات فرضاً!

"بصراحة أنتَ أحمق إذ صدقتَ الكذبة. فمَن لا يحبها؟"

رمش فابيو مراراً للإهانة مخبراً الصغير أن ينتظره هنا حتى يأتي بها!

وما كان من الطفل إلا أن أشار للآخر أن يتبعه، وحين لاحظ تعجبه

وجموده في بقعته هو فقط التقط يده يتوجه إلى حيث يقف والده

كان الأب وحيداً الآن، يستند بظهره إلى الجدار خلفه بينما يعبث بهاتفه

"سلام! هذا فابيو. يكون شقيق معلمتي كايتي وكذلك صديقي"

إذ تفاجأ غابرييل أجال نظراته بحيرة بين الاثنين أمامه

ما تزال يد فابيو محتجزة بداخل يد روميو وهو التقط يد والده بالأخرى، يقربهما يحثّمها على المصافحة

ثم ابتعد قليلاً ينتظر لكي يسمح لهما بتعارف لائق.

وهو ليس متطلّباً بأي شكل، ما أن انتهيا من تبادل عدة عبارات ترحيب مقتضبة، حتى أعلن: **"سأذهب رفقة فابيو لشراء بعض المثلجات، فهل توافق؟"**

من المفترض أنّ الإعلان السابق يحمل في طياته الاستئذان

ولكن ما تلاه بالتأكيد ليس كذلك **"لن أتأخر. سنتحدث قليلاً فقط"**

رفع الوالد كتفيه عاجزاً عن الرد. هو عليه التفكير جدياً بطريقة ناجعة أكثر للتعامل مع هذا الولد.

جرّ روميرو هيئة 'صديقه' خلفه يتجه صوب الباب المغلق

ثم أماط نفسه عن طريق الآخر يسمح له بفتح الباب لأنّ طوله للأسف لا يساعد...

-

بملل وقف روميرو على الرصيف مقابل المتجر ذو الواجهة الزجاجية الشفافة ينتظر انتهاء الأكبر من ابتياع ما يبتغيانه

والذي وبطريقة ما، قد تطور ليصبح عبارة عن كأسين من المثلجات بنكهة الفراولة وطبق من الكعك المحلى

تناول الصغير الكعك مع مثلجاته الخاصة وتقدم الآخر متجهاً ناحية مقعد خشبي يتوسط الرصيف حيث كانا يقفان

تبعه الرجل ولم يكلف ذاته عناء الاعتراض أو الاستفسار، لأنّ هذا فقط لن يجدي نفعاً يُذكر...

صالب الصبي ساقيه فوق المقعد يفسح بجانبه متسعاً لصديقه لأن يشاركه المَجلِس

"سأعرفك بنفسي بطريقة أفضل. وأرجو ألا تقاطعني!" تحدّث الطفل يقدم كعكة للآخر الذي تناولها منه يُظهر حسن إصغائه.

"اسمي روميرو ويليمز، وذلك الوسيم في الداخل هو والدي، يدعى غابرييل. معلومة بسيطة: هو أرمل"

عقد المصغي حاجبيه فتابع الصغير: **"نحن معجبان بشقيقتك. أعني أنّ والدي معجب بها"**

"هاه"

التقط الصغير قطعة كعك أخرى وهمّ بحشرها بفم فابيو

ولكنّ الأخير هزّ رأسه بشدة رافضاً فقضمها الولد بذاته عوضاً عن ذلك.

"من فضلك ابقَ صامتاً لكي أتمكن من التحدث براحة. حسناً؟"

بالرغم من أنّ العبارة السابقة بصيغة الرجاء بدت مبهمة للآخر ولكنّه أومأ على أية حال يغرف ملعقة صغيرة من السائل الغروي الحلو يحشرها بفمه صامتاً

"لن أكذب عليك. أبي أحمق وبريء حدّ اللعنة ولكنه شخص جيد وسيسعدها!"

"أعني... انظر إلي، ألا ترى كم أبدو مرفّهاً؟ هل لاحظتَ في حديثي السابق معه ما يدلّ على علاقة أبوية سامة من نوعٍ ما؟ لا. أوكد لك أنّه شخص ظريف وأب مثالي"

"يبدو جيداً فعلاً"

قرر الشاب أن مجاملة بسيطة لن تضرّ أحداً

أغمض الصّبي عينيه وبانت عليه أمارات تألم شديد ثمّ كشّر بغضب طفيف يخبر الآخر أن يكف عن كذبه! وأن يصمت فقط.

اعتزم فابيو الصمت هذه المرة ولم يحاول التبرير حتى

"لن أكذب عليك. الكلب الوفي بداخله ما يزال يحب والدتي. ولكنّه يحب أختك حقاً"

غصّ فابيو بما يأكله فربت الصغير ببعض القوة على ظهره يتأسف مراراً

"ما أعنيه أنّها ستكون سعيدة معه جداً. فهل ستنضم إلي في خطة إيقاعها بشراكه؟"

صُدم فابيو من الطلب

وضع الكوب على الذراع الخشبي بجانبه وحدّق بالطفل الذي ينتظر إجابته بفارغ الصبر يمنحه ابتسامة غريبة

لا شك أنّ مَن يجاوره يمتلك شخصية عفوية وربما وقحة بعض الشيئ

ولكنّه استطاع بسهولة استشعار اللطف القابع بداخله.

ألا ترى أنّ المصطلح الذي تفوّهتَ به فظ قليلاً؟" بعد صمت دام " عدة لحظات. هذا كان كل ما صدر عن حنجرة فابيو.

دعك الصغير خصلاته يفكر بما يقصده الآخر. امم. نعم! 'عنوان الخطة'

"لن نتجادل في هذا الشأن. اختر أي عنوان يناسبك" أجاب الطفل.

"لماذا نخطط لأمر كهذا حتى!
ألا يستطيع والدك الجيد المبادرة والاعتراف؟ لا تقلق، إن كان لا يروقها فسترفضه بلطف"

بغضب ولوم ناظر روميرو الآخر، ينفي برأسه بشدة مجيباً: **"أحقاً تعتقد أنّ كايتي الفاتنة ستقبل بكتلة الحماقة المدعوّة والدي؟ انظر إليه! أقسم إنّه لا يدري ما معنى أن يعترف بمشاعره حتى"**

"روميرو عزيزي أنصت رجاءً. والدك شخص بالغ يستطيع تولي أموره بمفرده، حسناً؟"

بانفعال نفى الطّفل يؤكّد أن جرواً يحتاج للرعاية يسكن في دماغ والده، وهو لذلك مُجبر على مساعدته.

"وما دوري في هذا كلّه؟"
بقلة صبر طرح فابيو سؤاله.

"حالياً عليكَ أن تبعدها عن ذلك الكريه بام. أقصد مَن كان يراقصها منذ قليل"

"كريه؟"

"أنت لا تعلم هو تافه! حتى طفليه سخيفين مثله. خاصة دودة الكتب ديفيد"

قهقه فابيو

كان عليه أن يتجاهل هذا الطفل الغريب فقط!

-

الفصل الثاني عشر

في وسط الشاشة ذات الإضاءة الخافتة، تيارات هوائية عنيفة ظهرت من اللامكان لتختلط في زوبعة هائلة اهتز لها المحيط الذي كان حتى لحظات قليلة مضت هادئاً

ربّع روميرو ساقيه فوق الأريكة يعمل تركيزه فيما يراه حين اشتدت العاصفة المفاجئ

تدافعت الصور الرسومية تحفّز جسد الصبي ليغرق في دوامة محمومة من الأدرينالين

أخذت الأمواج الرغوية تتلاطم فيما بينها ضاربة القارب الصغير من كل حدب وصوب، تتنافس أيها ستسحقه

مع الضربة القاضية توسعت عينا المتابع، وصورة جميلة قفزت إلى ذهنه، في الذكرى طفا القارب على سطح الماء كورقة خضراء تزيّن بحيرة رائقة

سرعان ما تلاشت الصورة تفسح المجال للواقع اللحظي بالوجود، الآن لم يبقَ من البناء الخشبي متقن الصنع _والذي عايش روميرو خطوات بناءه منذ البداية وحتى هذه النهاية الأليمة_ سوى لوح غير محدد الشكل مبلل حتى ليكاد يتجزأ

أعلى اللوح الناجي من الغرق، تموضعت هيئة القبطان المحبب لقلب المتابع: أرنب مرسوم بمهارة

انتصب الحيوان العاقل واقفاً؛ غير متأثر حقاً بما يحيطه من هيجان، بذلته البيضاء ما تزال على حالها الأول لم تتلوث ولو بقطرة مياه

واحدة.

تغاضى الصغير عن الهفوة المزعجة، يقرر تأمّل الحركات المتألقة الصادرة عن القبطان الصغير مُقوِّض الأزمات

بحماسة راقب روميرو المشهد المبهر للعدسات الزجاجية الخاصة بنظارات القبطان تعكس للمشاهد ما يتفرد برؤيته البطل دوناً عنهم: الجزيرة المنتظرة؛ نهاية الرحلة.

في تلك اللحظة تماماً توقف المقطع يعلن الحاسب عن وصول رسالة تابعة للخانة المحددة ب'الأكثر أهمية'، يتسبب بانطلاق سلسلة من التذمرات المنزعجة من فاه الطفل، ولكنها تلاشت من فورها ما أن تنبّه الصغير لمحتوى البريد الوارد

بسلاسة فتح روميرو تطبيق المراسلة المقفل يلقِ نظرة متفحّصة على المعلومات الغامضة بجاذبية بالنسبة له

ولكنّه تأفأف بملل حينما فشل تماماً في فهم ما تلمّح له الرموز والصور الغريبة.

"بابا. انظر تلقيتَ رسالة"
صرخ أخيراً

بمجرد مطالعته شريط المحادثة مرة واحدة همهم والده بهدوء يخبره أنّه يحتاج حاسوبه لبعض الوقت.

وكما هو متوقع، وافق الصغير، لديه هدف واضح ألا وهو إدراك ما عجز عن إدراكه.

"سأشرح لك كل شيء ولكن دعني أعمل"
برجاء نطق الوالد رداً على الإلحاح المستمر من طرف روميرو الذي ابتسم مومئاً ثم أطبق فمه يترقب العهد المشوق.

بعد عدة دقائق من العمل المتواصل تنهد غابرييل يبتعد عن الحاسب المضاء بدرجة حادة الآن، ثم صالب ذراعيه إلى صدره ليلتفت إلى الولد الذي أبدى تحمسه وحسن إصغاءه يجعله يعتقد أنّ الصغير ينتظر أن يسمع معلومات مهمة ربما؟

"هل ترى الصورة هنا؟"
بهذا ابتدأ كلامه يكتسب إيماءة من الولد.

هذه صورة مقربة بالمجهر لعينة من بشرة مشتبه به. سنستخدمها " **لنصل إلى حمضه النووي"**

"وما الذي ستجنوه من حمضه النووي؟"
رفع روميرو حاجباً وبصعوبة كتم الأب ضحكاته.

نقر غابرييل جبهة الطفل بجانبه مجيباً: **"ذلك سيقودنا إلى هويته"**

تأوّه الطفل متألماً ولكنه وإذ جوبه باللامبالاة -لأنّ الضربة لم تكُ قوية حقاً- همهم بفهم ليقلب دفة الحديث نحو مسلسله الكرتوني آنف الذكر، يخبر والده بأسى صادق تماماً عمّا جرى لبطله وكيف أنّه

امتطى البحر وكذلك مخاطره مثابراً في طريقه.

-

الأب وابنه قد جُذبا للرد الوارد إلى حساب الأكبر من قسم التحري حيث أرفق الموظف المسؤول عدة صور للشخص المعني 'موضع البحث' مع مستند احتوى على بضع نقاط وملاحظات واستنتاجات ارتآها الباحث...

تبادل الاثنان النظرات يحاولان ربط الملامح المألوفة بما توارد إلى ذاكرتيهما من أحداث وأوجه

صرختان متزامنتان أطلقاها مع اتضاح الصورة أخيراً لكليهما؛ هذا المشتبه به ليس سوى عدوهما اللدود من طرف واحد: بام.

"ما جرمه؟ هل حاول أن يحتال على موظف نبيه في مصرف؟ هل أطلق النيران في الهواء؟"

تساءل الولد يشير لما يظنّه واقعاً لا لبس فيه: غباء متجذر في شخصية عدوه وجميع سلالته معه.

لم يتلقى رداً فما كان منه إلا أنّ أمعن التحديق في المستند النصي مقابله

"متعاون مع عصابة اتجار بالبشر؟ لم أفهم"
عيناه وقعتا على هذه العبارة المريبة فصاح مستفسراً

عند هذه النقطة رد الأب يحدث نفسه تقريباً: **"هم فقط أشخاص أشرار. ولكن المشكلة هنا بماذا سيفيدهم ذلك التافه؟"**

يبدو أنّ افتراضات الوالد تتفق مع افتراضات الابن بعد كل شيء...

"تعال"
قال روميرو ذلك ونهض مشيراً إلى الأكبر بأن يتبعه.

تحت مراقبة الأب التقط روميرو سماعة الهاتف الأرضي وجعل ينقر عدة أرقام متوقفاً برهات قليلة لأجل الاستذكار.

عقد غابرييل حاجبيه حينما سمع ابنه ينطق باسم مألوف تقريباً 'فابيو'

لحظات قليلة انقضت قبل أن يقفل الولد المكالمة، يستدير لأبيه يطالبه بالتجهز لموعد قادم تم تحديده للتو!

"ألن تخبرني ما هي وجهتنا حتى؟" تذمر الأب يتمركز بطفولية أمام الباب يمنع الصغير من الخروج.

هو لجأ لحله النهائي هذا لأنّ أي من الأسئلة التي طرحها لم تقابل بإجابة مرضية.

111

"دعني أفكر في خطة ما"
هذا فقط ما صدر عن فاه الصبي قبل أن يقفله تماماً وكذا أذنيه عن الآخر...

-

بطريقة ما، تجاور الذكران في السيارة حيث ساد الصمت وحتى المذياع لم يكُ مسموحاً لأكبرهما بتشغيله

فجأة صفق روميرو يملي وجهتهما أخيراً على أبيه ثم راح يشرح الوضع: سيتكفل فابيو بإحضار بام إلى منزله رغم أنّه لم يفهم ما يجري مع الولد ذو التفكير الغريب...

"لن أدع معلمتي اللطيفة تُخدع بهذا الحثالة.. وحتى فابيو! ولكننا بحاجة إلى دليل لإدانته لا يمكننا اتهمامه فقط"

"وهل يستدعي الأمر كل هذه العجلة؟"
تساءل الأب لا يفهم حقاً ما يدور بداخل رأس الآخر.

"فابيو وأخته بشر أيضاً! ما يدريني ربما يتاجر بهما"

لم يكُ من الأب إلّا أن ضحك بقوة يكتسب نظرة مؤنبة من ابنه.

112

-

في المنزل اضطر الولد لأن يأتمن معلمته وصديقه مع أبيه

لأنّ عدوهما قد أحضر طفليه معه وهذان لا يحبذان جلسات الكبار!

بقلبه بعض الخوف ولكن في نظره ومن دون تهويل أو مبالغة:
غابرييل ويليمز أكفأ شرطي عرفته المدينة.

-

"هي تنمو في المناطق المرتفعة والباردة"

"أعتقد أنّها تحتاج إلى ضغط جوي مرتفع أيضاً"

بحماسة كان ديفيد يتحدث عن زهرته المفضلة -لهذه الفترة-

ثم طفق مستعيناً بيديه الاثنتين يمثل هيئتها وما يجاورها في موضع نشوئها من نباتات وحتى الصخور

كان نيل معتاد على دماغ توأمه المشتعلة على الدوام

وهو حقاً استمتع بمظهر روميرو ذو العينين المتسعتين كأبله ما؛

يتسم بغرور مَرضي.. وكان هذا انطباع أولي شكّله التوأم عن زميلهما غريب الأطوار وبقيا عليه حتى اليوم.

"وأخبرني موشين بسر"

هنا أخفض الطفل صوته يوضح للسامعَين مدى خصوصية ما سيحدثهما به

محاور عديدة غير مترابطة أوصلت حكاياته إلى هذه النقطة؛ والتي بدت مثيرة لانتباه الآخرين فاقتربا يجاريانه في طريقة طرحه للخبر ويومئان بثقة وموافقة على أي ما يتفوه به، على الأقل حتى موضع ما...

"إذاً أنت تقول إنّ موشين بإمكانه التخاطر مع أخيه؟ لا يمكنني تصديق الأمر أنا آسف"

قاطع روميرو النقاش المحتدم يتفق مع نيل أنّ الخبر غريب وغير معقول.

"ولكنني لا أكذب!" دافع المدّعي عن تصريحه.

كان روميرو متأكداً من مدى صدق الآخر ولكن لا يمكنه فقط إخباره أن صديقه كاذب! هذه ستكون بمثابة قنبلة صاخبة. ففضل الصمت...

114

رمق ديفيد أخيه بخيبة أمل، من الواضح أنّه بدوره لم يصدّقه...

الأن فقط أدرك ما حاول والده بجهد تلقينه إياه لسنوات خلت:
سيكون ضرباً من المستحيل أن يُقنع نيل بما يحمله في جعبته من أسرار...

كيله طفح عن آخره ويودّ بجنون لو يشارك الآخر ما يضمره ولكنّه غير مستعد لتلقي التكذيب المجحف المُتوقع.

لَكم يكره الاعتراف بالأمر، ولكنه يغار من موشين...

"صدقني هو كاذب. لماذا سيفصح عن سره لغريب أصلاً؟"

أومأ ديفيد لحديث أخيه، ليبتسم بوجهه بمجاملة قبل أن يتلمس كوب عصيره يشربه دفقة واحدة بينما يراقب والده المنغمس في مجادلة الشرطي بأمر ما.

يظنّ أن والده يخفي شيئاً ما؛ أمراً في غاية الخطورة...
ولكنّه عاجز تماماً عن إدراك ماهية هذا الأمر.

-

الفصل الثالث عشر

"ألا يتقن رجالك الحمقى التنظيف حتى؟
لهذا لا أحبذ الانخراط في الأمور العملية...
عظيم! الآن أصبح لدى الشرطة جبلاً من الأدلة ضدي.
ربما يقف أحدهم في رأس الحي الآن مع مذكرة اعتقال في يده،
عليكَ إخراجي من هذه الورطة"

صرخ بام ببضع شتائم ثم حلّ عقدة ربطة عنقه في نهاية كلامه يتخذ من الأريكة الوثيرة مجلساً مؤقتاً، عيناه مسلّطة بلوم وكره نحو الرجل خلف المكتب.

مذ خطى أولى خطواته في هذا العالم الخطِر، رسم بام شخصية جامدة في تعامله مع الروّاد الآخرين...

قلة هم مَن رأوا غضبه هنا، حماسته، قلقه، أو أيّ مشاعر أخرى قد تبعده عن الجوامد رابطةً إياه بالبشر.

صوته بثّ الرعب في قلب مَن يسترق السمع خلف الباب، ولكنّه لم يؤثر ولو بمقدار ضئيل في المخاطَب الأساسي.

حين قوبل بالصمت همّ بام بالاستقامة يلقي بذلك تحذيراً بشأن مستقبل هذه العلاقة المهنية.

مجدداً، تخطت حركته هدفه لتعمل في آخر، خفق قلب ميشيل بذعر وبغضون ثوان كان قد نجح في الابتعاد عن المكان تماماً.

هنا اعتدل الرجل المالك للمكان ينبس ببرود: **"لم تكُ ذلة. أعتقد أنّ بيننا دخيل"**

رفع بام حاجباً ولكنّه ما لبث أن ابتسم بهدوء حينما حوّل الآخر حدقتيه باتجاه الباب يشير لموضع ميشيل السابق.

"و؟"
سحب بام انفعالاته يعود لجموده الأول

"لقد وردتني أخبار عن موهبتك في تفنيد الألاعيب سأثق بحكمك مهما كان"

"ما الذي ورد إليك بالتحديد؟"
تساءل بام؛ يتجاهل للوقت الحالي ما تبقى من العبارة.

"لا أعلم.. تنتشر الشائعات بسرعة، عديدون يؤمنون أنّ لكَ عيناً خارقة أو شيء من هذا القبيل"
بعدم اهتمام أجاب الرجل.

"امم. اجمع رجالك لأراهم، وسأبعث النتيجة في صباح الغد"
بهدوء مماثل لخاصة القائد الأربعيني تكلم بام، ثم شغل نفسه بمراسله طفليه.

بيد صفف رجل المافيا خصلاته المصبوغة بأسود قانٍ، وبالأخرى التقط مسدسه من فوق المنضدة يدسّه في ملابسه ليغادر الحجرة

الخالية سوى من الشريك المريب بالنسبة له 'بام'

هو لا يثق به.. ومع ذلك يطمح ليكسبه بمفرده بمعزل عن سائر المتعاملين مع الرجل.

سار بهدوء في الممر الطويل ذو الأبواب الموصدة ما عدا باب الغرفة التي خرج منها

وبوصوله إلى نهاية الرواق هو طرق بخفة ما يبدو كجدار قبل أن ينعطف يميناً مكملاً طريقه

عدة لحظات انقضت بينما يُخطر مَن يمرّ بهم بأمر الاجتماع العاجل وهو توقف أخيراً يدلف إلى غرفة غادرها قاطنوها للتو تزامناً مع لمحه جوليان يتقدم منه

"هل استدعيتني سيدي؟"
بنبرة آلية تساءل الروز بعد أن أطبق الباب بهدوء ووقف قبالته.

"عليكَ مغادرة المكان لأن بام سيجتمع بالعائلة؛ جميعهم"

قبض جوليان كفّيه ببعض القوة ليستفسر كابتاً شعوره: **"أخبرتَه بما تعلمه؟"**

وهو أسدل جفنيه متألماً عند سماعه الإجابة النافية.

-

118

54's POV

"حاضر سيدي"

قلتُ ذلك لأغادر من فوري أرى الفوضى تعم المكان.

هل سيكشف مقدرته حقاً؟ جزء مني ما يزال يثق به...

جلّ ثقتي يعود لحقيقة أنّه أب؛ ولكن بماذا يختلف الأب الإنسان عن نظيره من جنس الروزين؟ لا أعلم...

في طريقي نحو الخارج شيعت ميشيل المتوتر بناظري وحينما همّ بالوقوف ليلقِ التحية أوقفته بإيماءة مواصلاً مساري.

الذعر في عينيه كاد يربكني ولكنّي ذكّرت نفسي بموقفي الراهن وبالمسترخي في الداخل مع روحي في قبضته المحكمة.

استخدمت المخرج الاحتياطي لتجنب الالتقاء ببام.

وجهة واحدة أتحمس لها في هذا المكان الخانق، وشخصين فقط يهوّنان ثِقَل ما أتعايش معه...

"ما بالها عصفورة الحب حزينة؟ أما يزال عصفورك نائم؟"
بصخب اقتحمتُ المكان أقضي على هدوئه السابق.

لا أحتاج إجابة، أحب إغاظة هذين العاشقين فقط...

كدأبي دوماً قصدتُ المطبخ ذو الباب الموارب ومنه خرجت إليها لأجاورها حيث تقف خلف البار آخذاً المئزر خاصة جوزيف ألفه حول خصري بمتعة.

"ألقت الشرطة القبض على جوزيف مساء الليلة الماضية. وحتى هذه اللحظة لم أسمع شيئاً منه"
للخبر الصادم كدت أفلت زجاجة المشروب من يدي.

"أليس لديكِ فكرة عن السبب؟"

يا لهذين البائيسين.. يهربان من المتاعب وإذ بها تطاردهما.

"لا! أنت تعرفه. هو لا يفعل أي شيء غير قانوني حتى إنه لا يسمح لهؤلاء المراهقين الأشقياء بخداعه بما يخص أعمارهم الحقيقية"

بدرامية قالت ذلك وأحسستُ أنّها تبالغ قليلاً فطرقت وجنتي بلساني.
أحاول طمأنتها بقولي: **"لا تقلقي. بالتأكيد هو أمر تافه وإن كان غير ذلك فإن السيد آرثر سيساعده"**

هنا هي رمتني بوابل من رشقات حادة مصدرها عيناها المخيفتان في أوقات كهذه لترد بلهجة لاذعة: **"لسنا بحاجة إلى مساعدته"**

أومأت فقط ورأيت وجهها يشرق تزامناً مع إقبال جوزيف علينا، يبدو أنّه وصل ولم نلحظه في خضم نقاشنا.

من دون أدنى عناء نجح الشاب في انتزاع التوتر من الهواء وكذلك من جسد عشيقته.

"إذاً. ما الذي أرادوه منك؟"

سؤالي أخرج الاثنين من فقاعة حبهما ولاحظت كيف شدّ جوزيف بقوة أكبر على خصر الفتاة ورفع رأسه قليلاً عن كتفها ليجيبني:
"أنا حقاً لا أعلم. فتحوا مواضيع متفرقة وغريبة"

قال ذلك ليعود ويدفن رأسه في عنق الشابة التي تذمرت حين ابتعد ويبدو أنّه تذكر شيئاً

"أحدهم كان مريباً، أعتقد أنّه غير معني بأمور التحقيق حتى! أعتقد أن اسمه كان غابرييل ويليمز أو شيء ما حادثني بأشياء مختلقَة بوضوح وحاول ربطي بمنظمة العين بشتى الطرق"

هنا قرصته الفتاة ليتأوه بصدمة وضحكتُ بشدة.

للآن لا أدري كيف تقبلتني؟ أنا تابع لهذه المنظمة بعد كل شيء...

"وليس هذا فقط.. هو يظنّ أنني أتعاون مع منظمة منافسة"

"هل كشف كل أفكاره بهذه البساطة؟"
تساءلتُ مرتاباً حقاً

"عليه ذلك.. ربما يُخيَّل إليه الآن أنني أشي به لآرثر"

"أنت ستفعل ذلك"
بسخرية تحدثت الشابة.

"نورا! عليّ تحذيره ربما يكون في مأزق"

"وما شأننا؟ ليمت فقط"

بالنظر إلى هيئتها المتصلبة ورأسها المنكس أرضاً، أظنّ أنّها ندمت على ما تفوّهت به

على أية حال، لم يبدُ جوزيف مستاء حقاً

هو فقط أدارها إليه ليهمس بلطف ببضع كلمات لم تصل مسمعي ثمّ قال أخيراً بصوت جهور يقصدني: **"لا تخبر آرثر، سأفعل أنا"**

أومأتُ. أنا أثق به؛ بهما.

حتى في نيرول لم أعش نعيماً كالذي أعايشه رفقتهما، وبشكل متواصل...
هما لا يكذبان إلا نادراً وهذا بذاته مريح.

لما تبقى من الليل -وبينما يهلّ الزبائن أفواجاً أفواج- تشاركتُ ونورا العمل وعدة أحاديث ممتعة.

كان جوزيف بحاجة ماسة لبعض النوم، ولكنّه وافانا بعد بضع ساعات

الشاب جاد في عمله حقاً، وجوده بذاته كفيل بأن تعمّ الضوضاء أرجاء المحل

العناصر المحمِّسة مثله ندعوها في نيرول بأرقام أولية
أودُّ لو أخبره بهذا في يوم ما...

End of 54's POV

-

عاد آرثر إلى مكتبه يجد الشريك وقد لملم أشيائه ينتظره في الرواق أمام لوحة ما يتأملها بنهم

حمحم رئيس العصابة يكتسب انتباه بام الذي طالعه بطريقة غريبة يتخطاه نحو المطعم بعد أن أُخبِر بمكان الاجتماع بواسطة مُضخِّم الصوت منذ وقت قليل مضى

عبثاً حاول آرثر أن يكتشف ما رآه الرجل في اللوحة التشكيلية البسيطة

ولما خالجه شيء من يأس، هو رفع كتفيه بعدم اهتمام يمشي.
ولبطيء الآخر هو أدركه من دون عناء.

في المطعم حيث تواجد جلّ الأعضاء -وبشكل خاصّ حديثوّ العهد في المنظمة منهم - مرّ آرثر رفقة بام بالطاولات المتفرقة في الأرجاء بغير ترتيب معين، يتوقفان لبعض الوقت عند كل واحدة.

حول المنضدة الدائرية الواحدة جلس اثنان أو ثلاثة بالحد الأقصى، جميعهم من الرجال الأصحاء، تتراوح أعمارهم ما بين العشرين والثلاثين، ملامحهم مختلفة بشكل مثير للريبة وهذا يرجع لسياسة انتقاء أفراد العين.

باعتيادية أدّى آرثر مهمتيه؛ عرّف الأعضاء على بام كشريك في طريقه لينال الثقة المطلقة متجنّباً بنجاح لفت أي قدر من انتباه غير مطلوب.

تلك هي مهمته الأولى جنباً إلى جنب مع الأخرى والأكثر أهمية: مراقبة كل تصرفات وحركات بام علّه يتوصل إلى أي ملاحظة مفيدة تدل على شيء ربما تجاهل جوليان ذكره لغاية في نفسه.

أمام مجموعة ما، لاحه بعض من تأهّب تملّك هيئة رفيقه فجأة

وكان واضحاً له كفكرة أولية، أنّ واحداً -على الأقل- من هؤلاء الثلاثة لديه ما يبحثان عنه

عندما تخطّى بام المنضدة إلى ما تتلوها خالجت آرثر لمحة من حيرة ولكنّه ألقاها بعيداً للوقت الحالي يكمل معاونة الآخر فيما يفعله.

أمضى الاثنان ما يقارب النصف ساعة في رحلتهما التي أنهاها بام بقوله إنّه سيعود إلى المنزل ليتابع بحثه منفرداً ابتداءً من هذه المرحلة. وسيتواصل مع الرئيس بغضون عدة ساعات ليوافيه بالنتيجة المرجوّة.

-

لم يكُ بام بحاجة إلى المزيد من البحث؛ ذلك لا يتعدى تمويهاً بغرض السلامة...

هو على دراية الآن بكامل الصورة: ميشيل هو عميل مزدوج تم تعيينه من قبل الشرطة؛ تعامله المباشر مع رجل الأمن غابرييل ويليمز.

الآن وقد اتضحت الصورة له، عليه أن يتصرف بأقصى سرعة ممكنة

لسبب ما، ربما لذلة أو بالصدفة البحتة، هو أصبح هدفاً للاثنين

وحتى قبل حصولهما على دليل كافٍ ليعتدّ به، وضعاه تحت المراقبة

إذاً الآن وقد امتلكا دليلاً -بغض الطرف عن مدى وضوحه أو أهميته- سيغدو إيقاع أي أحد في الشباك أكثر سلاسة، ولكن ليس بام

كان الرجل مدركاً لهذه الحقيقة: مهما اتخذا من تدابير محكمة، لن يستطيعا تجاوزه أبداً.

تزامناً مع وصوله أمام البناء السكني حيث يقطن رفقة طفليه، استحضرت ذاكرته تفصيلاً جللاً

أثناء اللقاءين السابقين، تمكن بام من ملاحظة أمر غريب في غابرييل

هو ولأول مرة مذ طرأ عليه التغيير الأخير -وباستثناء جوليان- لم يقابل مَن يمتلك صفة مشابهة.

كان ذلك حتى صادف الشرطي وابنه: الاثنان يمتلكان ميزة فريدة؛ هما قادران على تمييز الكذب ومدّعيه.
لسوء الحظ، لم يتمكن من الإحاطة بكامل الحيثيات...

ولكنّه على الأقل متيقن من قدرته على تجنيب نفسه أي خطر محتمل، عليه فقط أن يلتزم الصدق في حضورهما.

إن هو قلل من الأقوال الخاطئة ووضع حداً معيناً للمعلومات الكاذبة، سيبقى في مأمن.

كان تفكيره مشابهاً لهذا قبل ساعة مضت، أما الآن فإن الشرطي لا يمثل أي تهديد...

غابرييل ويليمز منذ الآن ليس سوى عقبة صغيرة في طريقه؛ واحدة مفيدة شكّلت عينة تعريفية سيتذكرها ويبتسم براحة وبفخر لما أنجزه_تعدّاه.

-

الفصل الرابع عشر

"هممم. هو أثار ريبتي منذ البداية".

بهدوء تحدث رجل المافيا رداً على المعلومات الواردة إليه للتو من قبل عميله، والأخير أخذ يثرثر بأكاذيب مشوبة ببعض الحقائق عما يدّعي أنّه اتخذه مساراً لاكتشاف العنصر الخائن

مقابلاً لمرآته الضخمة وقف جوهر الشيطان يراقب عبر لوح الزجاج تعابيره الجامدة والتي تناقض حُممه الداخلية المشتعلة

عيناه الحادة كانت مصوبة نحو ظاهر كفّه الأيمن حيث ارتسمت بحبر مظلم نسخة مطابقة عن إحداهما

ميزتان اثنتان ارتبطتا بهذا الوشم، الأولى والتي كانت محط تفكير الجميع: موقعه المُلفت والبعيد عن أي تورية

أما الثانية فتمثلت بظن الجميع أنّ رمز المجموعة هذا ما هو إلا صورة لعضو الإبصار الخاص بزعيمه

قلة فقط علموا لمَن تعود هذه العين؛ إذ عاشت في جمجمة رئيسهم السابق والذي أُردي قتيلاً برصاص ابنه المراهق منذ زمن طويل، ومذاك تم محي كل أثر يقود إليه مهما بدا تافهاً، وحتى اسمه قد أصبح بمرور الوقت طي النسيان

"جائزتك ستصلك بغضون ساعتين. سأتولى الأمر من هنا أما أنت فلدي لكَ مهمة أخرى، وأعتقد أنّ كل ما يخصها قد وردك بحلول هذه اللحظة"

بهذه الكلمات أوقف الزعيم سيل أكاذيب العميل...

ألن يحتاج مساعدة أخرى من بام؟ بالطبع، وكان ليطلبها لو أنّه الرجل يعمل لصالحه فقط...

أما الآن وفي هذه الظروف فلن يسمح لذلك المتغطرس بأن يربحه أية جميل وإن كان بسيطاً.
هذا وهو لا يثق به أصلاً.

عليه الآن أن يتعامل مع ذاك الخائن المتذاكي

وسيلتفت لعميله المريب فيما بعد، لديه بالفعل عدة خطط بشأنه، ولكنها جميعها تحتاج لأن يتفرغ تماماً؛ على المآل أن يكون لصالحه وبأقل خسائر ممكنة من طرفه.

ابتسامة شيطانية ارتسمت على وجهه، وشرع في السير متقدماً من النافذة الزجاجية المطلة على باحة البناء حيث تجمع أفراد عائلته يهيئون أنفسهم لمهمة هذا اليوم -أنى سينفذ ما يجول في رأسه- غافلين تماماً عمّا ينتظرهم من أحداث.

بطرف عينه لمح ميشيل، وكان الفرد الصغير قد اتخذ لنفسه ركناً دافئاً ليقوم بالتمارين الرياضية التي أشار بها إليه بذاته مسبقاً، كوسيلة بسيطة لتخفيف التوتر إبّان المهمات الخطيرة كمثل اليوم.

في مكان ما عميق في رأسه، هو يشعر بالأسف لمصير الشاب

بالرغم من شكوكه حوله، إلا أنّه عوّل عليه بالكثير من الآمال، وتمنى بصدق لو أنه أساء الظن به

أما الآن وقد تيقن من أنه قد خُدع، فحتى آماله لم تعد تؤتي نفعاً

هو أبداً لم يترك قطعة فاسدة في صندوقه؛ ولن يترك.

-

أطبق غابرييل جفنيه ينظم أنفاسه كابتاً غضبه المتصاعد

للمرة الثالثة حاول الرجل أن ينبّه كايتي عن الخطر الذي لا ريب يتربص لها في وجود الماكر ذاك، ولكنها لم تصغي له بأي طريقة

أيعقل أنّها أحبته ووثقت به بهذه السرعة؟ غابرييل يتمنى فقط ألا يكون الأمر كذلك.

خطوات هادئة أرّقت تفكيره فاصطنع ابتسامة من فوره يستقبل طفله بها وكان شاكراً أنّ الصغير لم ينتبه لهيئته القلقة؛ عندها لن يكون بمقدوره أن يكذب عليه...

توسط روميرو فخذي أبيه يقبل وجنتيه مراراً بالتناوب

الطفل لم يكُ غافلاً عن حالة والده ولكنّه يحاول أن يتجاهل كل شيء الآن ويركز فقط على استغلال الوقت المتبقي لديه للالتصاق به

هو يتفهم ماهية عمل والده ولكنّ هذا لا يساعد في تقليل توتره

ولعلمه أنّ أبيه لن يستطيع المواكبة بين حماية نفسه وانشغاله على طفل بكّاء؛ فإنه ومنذ زمن قد بدأ في ستر خوفه عنه بطريقة واحدة يتقنها: أن يتعلق به كصغير شمبانزي مفطوم حديثاً

حينما شعر بحركة صادرة عن والده هو تمسك به أكثر يرفض تركه، فما كان من الأكبر إلا أن استقام حاملاً ضئله بحرص سائراً به نحو المطبخ فهو لن يفرّط بفرصة إعداد وجبة أخيرة لذيذة لصغيره الوحيد، ربما يغادره يوماً أو نحو ذلك؛ وهل سيجد طفله مَن يتدلل عليه ويطالبه بوجباته المفضلة حينها؟

"بابا"

لحنّها الصغير بينما يتحرك بنشاط في مجلسه فوق الرخام بجانب المغسلة يبحث عن وضعية جيدة

"قل ما لديك"

بملل تكلم الوالد، لديه توقع مبدأي عن الطلب القادم.

"أنا لا أحب العمة كاترين. تعلم ذلك صحيح؟"

"كذبة الموسم؟"
بعدم اهتمام أجاب الأب لا يلقي ولو نظرة واحدة على الصغير، منشغلاً بتقطيع الطماطم

"امم. لست أكرهها. ولكن"

"تريد البقاء مع معلمتك؟"
قطع غابرييل تلعثم الطفل، رغم أنّه محتار لحقيقة أنّه متوتر أصلاً

"نعم هذا ما أريده. ولا تقلق لسنا نُثقل عليها. حدثت فابيو وهو وافق بالفعل"
بنفس واحد رشّ روميرو كلماته لا يدع للأكبر فرصة للمجادلة حتى.

"سأقبل ولكن عليك أن تعدني أنّك ستناديه باحترام من الآن وصاعداً. حتى لو كان لطيفاً ويعاملك بودية ما يزال يكبرك بسنين عديدة"

برقة وقليل من الحزم حادث الأب طفله يناظره في عينيه مباشرة، ليبتسم حينما تلقى إيماءة ظريفة من الولد رغم أنّه لا يثق بمدى جدية الطفل في تنفيذ مطلبه...

"الآن سنملأ بطنك الجميل حتى تشبع. وسأحزم ما يبقى في حقيبة لتشاركه مع معلمتك وصديقك. اتفقنا؟"

ابتسم الصغير مومئاً بالإيجاب يستقبل بفاه مفتوح بعرضة الملعقة المليئة بالحساء الفاتر محمولة بيد والده.

في لحظات نادرة -وهذه إحداها- يقبل روميرو بطيب خاطر أن يُعامله أبوه كطفل بل ويكون مطيعاً أيضاً بغرابة تامة، لذا هو أسند رأسه إلى صدر والده يأكل كل ما يُقدّم إليه بلا تذمر كما أنه وافق أن يدفنه الأكبر بداخل معطف سميك لا يسعه معه أن يتحرك براحة حتى...

-

قبّل غابرييل جبهة طفله يضمّه لصدره ببعض القوة ثم أنزله واقفاً في صالة منزل كايتي

ولسعادة الصغير حول المرأة وشقيقها قلبه قد أُثلج

يشعر أنّه محظوظ بحقّ لوجودهما، ويأمل أن يبقيا معه ليتنعّم بمرأى هذه السعادة تزيّن ملامحه

"آنسة كايتي أنا أعتذر إن تجاوزت حدودي في الأيام الفائتة. ومع ذلك سأكون مسروراً لو أخذتِ حذرك من المدعو بام"

هو شعر أن عليه أن يغامر بذكر الأمر حتى لو عنى ذلك أن يرى تعابير السأَم هذه تعكّر صفو وجهها.

"رافقتكَ السلامة سيد ويليمز"

بابتسامة بشوشة ودّعت المرأة ضيفها تطمئنه للمرة الأخيرة أن ابنه سيكون بأمان رفقتها.

-

وجهته التالية كانت مركز عمله حيث ينتظره أفراد فرقته ليباشروا بمَهمتهم المرشَدة من قِبل عميلهم الشجاع ميشيل الذي خاطر وتحدى خوفه ليُطلعهم على ما تحصّل عليه من معلومات.

خلال ساعتين انطلق الجميع بسيارات معنونة بلوحات مدنية وكانوا قد تسلّموا أسلحتهم مسبقاً

مذكّرتهم للمُداهمة والهجوم إن تطلّب الأمر استراحت في جيب رئيس الفرقة جنباً إلى جنب مع هويته الأمنية وجهاز الاتصال بسائر المرافقين له والذين يعدّهم جميعاً من مسؤوليته يرعاهم ويحميهم كابنه تماماً وبشكل خاص أولئك الصغار المشغّلة أفئدتهم بالحماسة...

-

الفصل الخامس عشر

تظافر ظلام المساء الدامس مع رياح قوية هبّت من الجنوب، وعدا عن صفير الطبيعة لم يُسمع في المكان بأكمله صوت، وحتى الهمس لم ينجح في التسلل من أفواه الأشخاص الذين اتخذوا من الليل ستاراً ومن الشجيرات رغم صغرها مخبأ يقيهم أن يُكشفوا أمام الطرف المقابل.

على بعد عدة أمتار من المكان -وتحت ظلمة الليل- اصطفت السيارات العائدة في ملكيتها إلى الفرقة الأمنية، وكانوا قد وصلوا نصف ساعة تقريباً قبل الموعد المحدد، ترجلوا مسافة معينة ليستقروا أخيراً هاهنا متوزعين بخط أفقي بحيث يفصل بين الاثنين منهم خمسة إنشات أو نحو ذلك؛ مقررين التزام الصمت التام وإبقاء التواصل بحدوده الدنيا.

بأعين متسعة عن آخرها قد راقبوا الظهور المرتقب لأفراد العصابة -والذي كان على النقيض من أي توقعات رسموها وظنّوا أنّهم استعدوا لها- وشيئاً فشيئاً قد بدأ الارتياب في التسلل إلى أبدانهم يجعلها عاجزة عن الإتيان بأي فعل سوى عن قشعريرة لاإرادية وغير مألوفة بالنسبة لمعظمهم.

عقل القائد قد فاز بالنصيب الأكبر من غيوم التوتر الناشئة للتو، وعبثاً أخذ يحاول الموازنة ما بين خياراته الممكنة.

من ناحية، أقلقه الطنين الداخلي لصوت مُحذّر يخطره بوجوب الانسحاب الآن وحالاً، فربما ما يزال مخبأهم محصن...

ومن الناحية الأخرى، توتر القائد يعمّه الخوف على مصدر المعلومة التي اتضح الآن فقط أنّها خاطئة.

أيستطيع الهرب مخلّفاً شبله الشجاع ليواجه مصيره بمفرده؟

مخاوفه بشأن الوضع الحالي للأصغر تكافح لتثبت وجودها منذ بعض الوقت، ولكنه لا يسمح لها بذلك الآن...

وماذا عن سائر أبطاله المتبقين؟

ماذا عن فرخه الذي ينتظره بأمل في المنزل؟

وابل من الرصاص قد فُتِح عليهم من كل الاتجاهات أعاق دماغه عن التفكير كلياً، للأسف الفكرة الأخيرة عن طفله علقت بداخل رأسه تتكرر مراراً جاعلة من الحرارة تتصاعد في جسده بوتيرة مجنونة.

الأنين المكبوت من مرؤوسيه حوله قد من وقع الأمر سوءاً.

الأنين تحول تدريجياً إلى صرخات متألمة مفزوعة، ربما أدرك جميعهم بحلول هذه اللحظة أنهم مكشوفون كشجرة في الشتاء أمام مهاجميهم المستميتين على ما يبدو في حربهم الشعواء من طرف واحد.

أجال غابرييل نظراته المحمومة في الأرجاء ممسكاً سلاحه الآلي حينما تمكن أخيراً من القبض عليه في وسط تشوّشه وارتباكه.

في تلك اللحظة بالتحديد قد لاحظ الرجل اثنين من رجاله يطلقان الرصاصات البطيئة نسبة لرشاشات عدوّهم، فقط قبل أن يُرديا قتيلَين أمامه في مشهد بدا له بعيداً بحيث لا يستطيع أن يجزم يقيناً أنّه موجوداً بداخله حتى...

بينما تراقب عيناه المنظر المروّع عبر طبقة من الدموع لم يدري متى ذرفها، بدأ دماغه في العمل بعد الانقطاع المفاجئ السابق.

الفكرة عن المستقبل الغائم لابنه في غيابه المحتمل قد أخذت في التراجع مقابل الاستفسار عن حقيقة أنّ قلبه ما يزال ينبض حتى الآن، لماذا لم يُقتل بعد؟ بدا هذا مريباً له حينما استطاع التفكير بمنطقية أخيراً.

رأس منحور بشناعة تدحرج أمامه كان يعود فيما تقدّم من زمان لهيئة يعرفها جيداً -ولكن ليس بهذا المنظر المخيف- قد جعل من ساقيه ترتجفان وصرخات لم يعلم أنّه قادر على إخراجها تصاعدت رغماً عنه تحرق حَنجرته ثم استحالت بغضون برهات قصيرة إلى شهقات متتالية.

رصاصة ثقبت مقدمة جمجمته أنهت حياته أخيراً ومعها ذعره، صدمته، وآخر ذرة من قوة امتلكها يوماً.

بجانب الرأس المتصلب للعميل الصغير الذي ساهم شخصياً في إرساله إلى هلاكه المحتوم، قد نامت جثة الشرطي المتفاني غابرييل وليميز من دون حتى أن يُمنح الفرصة في إدراك لمَ أُبقي على حياته للمشهد الختامي من الحرب العبثية التي دارت رحاها للتو مغطية بصخبها على ضجيج الرياح التي ستستمر حتى الصباح ضاربة بقوة أجساداً قد أمست خالية من أي أثر للحياة؟.

غادر آخر فرد من عائلة العين الموقع النظيف تماماً من أية آثار تقود إليهم، وذلك بعد أن أضافوا عناصر من شأنها أن تزيّف ما حدث لعين لم تشهد الحرب الأخيرة.

—

بعد مرورعدة أيام

خرجت كايتي من غرفتها حيث تركت روميرو على سريرها نائماً أخيراً بعد ساعات من العويل المُقطّع لنياط القلب، وصورة الصغير بالدموع الجافّة فوق بشرته الطرية ما تزال عالقة في ذهنها لا تفارقها.

بهدوء أغلقت الباب بينما تناظر شقيقها الذي يبدو بحالة سيئة هو الآخر.

لوهلة هي ظنتّه حزيناً على حالة الطفل النائم في الداخل، ولكن تقدّمه منها حاملاً جهازه اللوحي وأمارات القلق تعتلي ملامحه أنبأها بأن ظنّها لم يُصب.

سلّمها الشاب الهاتف الذي يعرض كلمات كثيرة متراصة لم تجذب انتباهها بقدر ما فعلت صورة الشرطي بطل المقال، ولأن قدماها أنذرتا بفشلهما قد أحاطها الأصغر بذراعه الصلبة يقودها بلطف حتى أريكة قريبة، ثم ركع أمامها ينتظر بصبر إلى أن تعي الموقف المستجد.

-اشتباك ضخم بين فرقة من الشرطة مع أشخاص مجهولين تسبب بمقتل كامل أفراد الفرقة. ترقبوا معلومات جديدة قريباً-

لم يفد عنوان المقال إلا بتعاظم الشعور المقيت في صدرها.

طالعت المرأة السطور بعينين دامعتين ثم التفتت صوب باب الحجرة لتعود وتناظر شقيقها بشفتين قد شرعتا بالارتجاف تتمنى أن تجد في وجه الشاب ما يطمئنها وينفي ما قرأته، ولكنّها فقط أطبقت جفنيها بيأس حينما لاحظت محجري الآخر المحتقنين بفعل الدموع المحجوزة بداخلهما ونظرة الأسف فيهما.

وما جرى تالياً كان مُشوّشاً وعصياً على الإدراك، غارت المعلمة في حفرة عميقة من القلق وعبثاً حاولت الوصول إلى رقم الرجل علّه يجيبها ويدحض ما تحصّلت عليه من أخبار مشؤومة.

أما فابيو فقد فضّل الانزواء بجانب الصغير، جزء غير عقلاني منه يتمنى لو يستيقظ على واقع مختلف حيث يتنعّم الولد بعد بكيان أبيه الدافئ.

ولكن لا، هو لم يكُ قادراً على النوم حتى، وكابوسه هذا لا يبدو سهلاً الهروب منه...

—

الفصل السادس عشر

تسللت رائحة الكعك المخبوز حديثاً إلى أنفي ومنه إلى عمق حلمي، أعرف هذه الرائحة جيداً
هل مرّت خمس سنوات بالفعل؟

شزراً وقع بصري على التقويم الجِداري أمامي، إنه يوم الأحد، يوم ميلادي-ميلادنا، وهو يوافق يوم افتراقنا، تماماً قبل خمس سنوات من الآن تم أخذي بعيداً وأُرسلت إلى هنا حيث تحوّلتُ شيئاً فشيئاً إلى نسخة أخرى من رابونزيل.

استقمت متجاهلاً الرائحة الكريهة وتوجهت إلى ركن الصّلاة حيث تقبع أيقونة مصغّرة للأم ماريا، خلفها نقش يمثل الصّليب المحمَّل بهيئة مخلِّص البشرية، جمعتُ خصلاتي الملبَّدة بفعل النوم مشكِّلاً بها عقدة قبل أن أشرع في الصّلاة برجاء وحيد لم يفارقني طوال مكوثي في هذا السّجن: أن ألتقي توأمي مجدداً.

تُرى ما الذي حلّ به في غيابي؟ هل أخذه أحد ما هو الآخر؟ أتمنى فقط أن يكون حظّه أفضل مني...

في الماضي تعاهدنا على البقاء سوياً، هل حقق أخي أمنيتنا المشتركة؟ ألا يزال رفقة الأصحاب؟ أتمنى أن يكون، فذلك ربما يُهوِّن عليه فراقي.

عبرت ذهني ذكرى مشوّشة تظهر خمستنا نقف على شكل دائرة بوسط باحة بيتنا الأول، يبدو أننا مستمتعون نظراً للضحكات التي أراها على وجوههم من حولي، ولكن مهما حاولت لم أتمكن من التقاط ولو مشهد واحد واضح عن الذكرى، هل نجح سجّاني بما ابتغاه وسعى إليه؟ سأتشبَّث بذكرياتي الباقية ولن أدعه يسرق أكثر مما سرقه.

حتى الآن قد أفاده جميع مَن استعان بخدماتهم من أطباء نفسيين وتجّار علوم أتقنوها، ولكنّه لا يعرفني بعد، أنا أقوى من أن أستسلم لمجرد بضع جلسات استلاب حياة أُجبرت على الخوض فيها.
قبل أن أفقد عقلي؛ لن أترك ماضيّ وأمضي فيما يريده.

بهذا السؤال استقبلني خاطفي وهو ذاته ."**هل تحتاج كتباً جديدة؟**"
مَن يدعونه جهلاً وغفلة: والدي.

"**هل ستجلبها العام القادم؟**"

سخرتُ بينما أدلف إلى المطبخ المجهّز بغرابة ليتلاءم مع طفل مختطف يبلغ من العمر عشر سنوات.

"**لقد غيّرنا الخطة، سألتقيكَ كل شهر، كما أنني استغنيت عن خدمات السيدة مورنيث؛ عوضاً عنها سيوافيكَ أحد رجالي دورياً بمعدل ثلاث أيام في الأسبوع**"

ضحكت بوهن ألتقط فطائري المحلاة وكوب مياه مغادراً المكان الخانق، هذه آخر المستجدات؟ مَن يتلو عليه هذه الترهات؟

"**بيتر آرثر! أنا أحادثك لا تتجاهلني فإن العاقبة لن تسرّك**"

لماذا يصرّ على نسبي إليه؟، ألا يعلم أنني يتيم لعائلة معروفة الهوية؟ ولو أني بلا نسب فلن أقبل باسمه المشين واحداً، أبداً...

انصرفتُ عنه إلى برنامجي التلفازي المفضل، إذ شغّلته بمستوى صوت ضعيف نسبياً وجلست مقابله أتناول طعامي بسلام، ولكن سلامي هذا لم يدوم إذ قطعه الرجل الغاضب بضربة تلقتها منضدتي الصغيرة من كفّه الكبيرة تتسبب في جفولي وانتفاضتي مرتعباً ومتراجعاً عدة خطوات، وكذلك تسببت في تبعثر الأشياء القليلة ومن بينها طبق الحلوى المعدني الذي لم يحتمل الاهتزاز

العنيف فارتطم بالأرضية العارية يُحدِث صوتاً مجلجلاً قاذفاً بمحتوياته بعيداً عن مرأى عيناي الهلعتين.

"اسبقني إلى غرفتي"

أمره ضاعف هلعي فجثوت بجوار قدميه أرجوه أن يعفو عني، ولكنه حملني بسهولة يرميني في الغرفة المقصودة ليخرج مقفلاً الباب خلفه تاركاً إياي متكوراً حيث ألقاني في وسط المكان الخالي من أي أثاث مترقباً ما سيأتيني منه تالياً محاولاً الحفاظ على ذاتي واعية فلا أدري ما قد يحلّ بي إن أنا استسلمتُ لضعفي وقلة حيلتي فسقطتُ مغشياً عليّ وحيداً سوى من شرير مجنون يتربص بي ليجذبني نحو جنونه؛ وأخشى أنّه قادر على فعلها.

شيئاً فشيئاً بدأت أشعر ببرودة زادت المكان وحشة وتمنيت لو أني ارتديت ثياباً أثقل رغم علمي بأنّها لن تنفع بعد قليل.

حفرت الأرض الصلبة بأظافري التي ازرّقت بشدة تمنحني لمحة عمّا حلّ بسائر جسدي وأعضائي، خانني لساني إذ استسلم لارتجاف أسناني من الصقيع وما عدت أقوى على النطق بأي كلمة قد تنجيني من عذابي القادم.

تشوّشت رؤيتي وخلتُني أصرخ باعتذارات لم أفهمها، مع تخدّر أطرافي علمتُ أن مقاومتي قد أزفت إلى نهايتها وأن استسلامي بات وشيكاً، وما كانت سوى هنيهات حتى خرّ جسدي وانسحبت بعيداً عن واقعي ومعاناتي.

صحوتُ في حوض استحمامي المملوء عن آخره بمياه لم أطِق حرارتها فأخذت أتخبّط بأطرافي المتخدّرة الواهنة بقصد الفرار بينما أصرخ بسيل من ترجيات واعتذارات محمومة قوبلت بضحكة ساخرة ممن دلف إلى الحجرة للتوّ وبيده منشفة بعثت هيأتها الأمل في أوصالي لقرب نهاية معاناتي.

"بماذا أفادك عنادك؟"

قال ذلك وهمَّ في انتشال جسدي الضئيل -نسبة لحجمه- من المياه قبل أن يلفنّي بالقطعة القماشية الورقية دون مراعاة أو لطف في تصرفاته؛ وأظنّ أنّه لم يختبر الكلمات المذكورة في حياته قط.

"أنا آسف، أقسم إنّي لن أكرر ذلك مجدداً"

تابعتُ اعتذاراتي التي قصدتُها تماماً، الجميع سيفعل لو قدر لهم اختبار قسوة هذا الرجل، هو يدرك هذه الحقيقة جيداً إذ ضحك بهدوء يربت على كتفي المسنود إلى جانب صدره الأيمن مرسلاً قشعريرة مؤلمة في كامل بدني المرتجف ويصدمني بسؤاله التالي:

"إذاً ما هو نسبك؟"

اوه. هل أدركَ مقصدي من السّكوت وتجاهله؟. من دون تفكير أجبته بما يودّ سماعه:

"آرثر. إنه آرثر"

همهم برضى. وفكرتُ؛ لن يسعني المقاومة أكثر طالما أنني سألتقيه وأفراد عائلته المخابيل مراراً طوال العام وحتى أجل لا أفقه له ميعاداً.

-

الفصل السابع عشر نهاية الثلث الأول

أمام المرآة يداخل حجرة استحمام صغيرة وقف روز يبدو على هيئته الكبر الذي عزّزته لمحة الشقاء الواضحة بشدة في ملامحه، دموعه في محجريه تجمّدت وما يبكيه يتكرر في ذهنه بإيقاع مُوجع، الذكرى المريعة شامخة في رأسه وكذا ما حملته من مشاعر مقيتة، وكفّه لم تُزح عن قلادته الثمينة؛ الصوت الصادر عنها كفيل ببقائه حتى هذه اللحظة دون أن يفقد آخر ذرة من إدراك تحصّل عليها يوماً.

حينما تناهى لمسمعه ضجّة خافتة يعلم مَن مُفتعلها، سارع بكفكفة دموعه يرش المياه فوق وجهه بنيّة تمويه لحظة ضعفه السابقة، وهو استنتج فشله الذريع فقط بالنظر إلى أمارات الشفقة التي أبداها الدخيل قبل أن يشرع في محادثته عمّا سمعه من ألسنة سكان الحي.

"هو أقسم إنّه لم يقصد طردك، ولكنه كاذب"

اكتفى ٥٣ بالهمهمة تأييداً لادعاء صديقه الذي اقترب منه على حين غفلة يضمّه لصدره قبل أن يتابع بنبرته المطمئنة المكتسبة: **"غداً أو بعد غد، سينسى الجميع الأمر، وستعود النجوم لمواقعها"**

انتفضَ الروز الحزين يبتعد عن رفيقه نافياً بلهجة تعمّد تشديدها: **"هل تقول إنّ ابني سيصبح طيّ النسيان؟ هذا محال! في كل دورة استئناف سأعيد فتح القضية حتى النجاح. عزيزي يهاب الوحدة"**

في النهاية هو جذب كفّ الآخر يقودها نحو قلادته وراقب بلهفة تغير تعابير صديقه عند استشعاره للحياة النابضة في رحاها.

"أتسمع طرقات قلبه؟ هو يناديني لأنقذه ولن أخيب أمله! أبداً"

145

فجأة شعر الروز المتكلِّم بساقيه تهتزان بعنف يتصاعد تدريجياً، فناظر أليفه بخوف كاد يغطّي على حزنه، وبينما يشاهدان الأشياء تتساقط ويسمعان أصواتاً مرعبة غريبة لا يفقهان مصدرها بالتزامن مع صيحات الاستجداء الآتية من الخارج، أطلقا ساقيهما للريح من دون وعي بينما يرددان عبارات تهوّن عليهما كربهما.

في عرض الطريق تجمّع حشد من الناس مهوِّل سرعان ما أخذ بالتناقص إلّا ثلة من المتجمهرين، كان من ضمنهم ٥٣، صديقه القصير، والطارد الكاذب من وقت مبكر من ذلك اليوم والذي تجهّم على الروز الفاقد لابنه ما أن لمحه، فأخذ يسرد عليه تراكيب غريبة مصاغة بعجل توحي باعتذار لم يسع السامع معه سوى أن يومئ بقوة مربتاً على كتف المعتذر بمواساة يخبره أن لا بأس.

حينما اطمأن الروز إلى سماح مَن تجرأ على ظلمه لعيب وخطأ ليسا فيه استهدى أخيراً إلى الزر المضغوط في معصمه يستخدمه من فوره يتبع بفعلته هذه العديد من المنكوبين المتواجدين حالياً في فقاعات آمنة مجهّزة مسبقاً تحضيراً للحوادث المشابهة.

في الجهة الأخرى تبادل الصديقان نظرات الوداع قبل أن يلتفت الروز القصير مشيحاً بعينيه الدامعتين عن صديقه، ينتقل من فوره نحو موقع أكثر ضرراً تم تحديده آلياً.

انهار الروز الحزين أرضاً يراقب البقعة الخالية من جسد صديقه بينما تنهال على أذنيه الإرشادات والتعليمات عبر الجهاز الخاص بوظيفته كمساعد على النقل، ولكنه لا يسمعها إذ إن دماغه ما يزال

يكرر معلومات وتحذيرات عن موقع زميله الحالي.

في النهاية هو هزّ رأسه بعنف يقرر أن عليه تأدية واجبه، صرف ساعات من التدريب المضني تجهيزاً لأزمات كهذه، ولن يضيعها سدى، لن يضحّي بأحد لم تحن ساعة موته بعد.

مشى بهدوء خلال الأزقّة يُصخي السّمع، متجاهلاً الهزات الخفيفة التي ترد إلى بدنه بين الفينة والأخرى وكانت لترهبه لولا تركيزه في متفرقات الحياة المتبقية من حوله وكذلك النبضات المُهدِّئة من القلادة المحمولة في يده الآن.

وهو تنفَّس بتسارع ثمّ أبطأَه تدريجياً ما أن لحظت عيناه روز وطفله الصغير منبطحان أرضاً في وسط الشّارع بصورة بدتْ له قادمة من عالم بعيد سيريالي تبعث في النّفس حُزناً مختلطاً برهبة خام سمع عنها في صفحات الكتب ولكنّه لم يلمسها قبلاً بهذا العمق والواقعية.

"هل تسمعاني؟ لا شيء مخيف، ستنتقلان الآن ولحظياً إلى مكان آمن تماماً. أنا بحاجة لأن تجلسا بوضعية مريحة فقط. أكرر هل تسمعاني؟"

مع السّؤال الأخير بدأ الرأسان الصّغيران بالارتفاع شيئاً فشيئاً، وبسرعة غريبة للرائي انتفض الروز الأكبر يستقيم بجسده كليّاً قبل أن يسحب جسد شبيهه الأصغر ثم يعود للجلوس مجدداً بينما يتنفس الاثنان بوتيرة جنونية ويثرثران بأشياء لم يفهمها الموظّف غير أنّه تدارك الأمر فشغّل النغمة المهدّئة الأولى في القائمة، يرجو منها بعث الطمأنينة في نفسيّ الخائفين بجانبه، وربما جذب روزين عالقين آخرين.

147

"ما الأمر إلا ضغطتان بسيطتان وستكونان في فقاعة محمية جربّتها شخصياً وأضمن سلامتها من الزلزال أينما حلّ ومهما بلغت شدته، فهل تثقان بي؟"

أومأ الروز الطفل إيجاباً يمد يديه نحو المُنقِذ، في حين تحفّظ الروز الأكبر على أمله بداخله يناظر الموظف يترقّب المزيد.

بالفعل فإن الموظّف لم يصمت بل أكمل بثقة وبنبرة أقرب للحية منها إلى الآلية المعتادة من الأفراد في موقعه: **"أضمن أنّكما لن تتضررا أبداً، وبالتأكيد لن يفرّقكما شيء أو أحد. علماً أنّكما تستطيعان الاستفادة من تقنية تسريع الزمن إن رغبتما بتفادي اختبار الهزات الارتدادية اللاحقة. ولكني أخشى أنكما بحاجة لاتخاذ القرار بسرعة، هناك عالقون آخرون ينتظرون المساعدة!"**

بغير هدى تحرك بؤبوا الروز المتشبث بطفله قبل أن يصرّح بعلوّ بما انتظره مسؤول النقل طويلاً، وبذات اللّحظة استقام الأخير يجتذب من محفظته زرّين سريعي التركيب ليثبّت أحدهما في معصم الروز البالغ مخبراً إياه أن يتنبّه للطريقة جيداً بهدف استعمال القطعة الأخرى على جسد الطّفل المرعوب المتأهّب تماماً لأي حركة مريبة قد يفتعلها غريب.

نفّذ الروز تعليمات المُنقِذ حارصاً على اقتطاع العمل بعد كلّ خطوة، حتى يتسنّى له الاستماع إلى همهمة الخبير ليتأكد بذلك أنّه لم يحد بعد عن الصّواب فيما يجده الفعل الأكثر تعقيداً على الإطلاق في هذه اللحظة.

ابتسم ٥٣ براحة بينما يراقب اختفاء الجسدين الهلعين من أمامه وما تزال أصوات تنفسيهما الجنونية تطنّ في أذنيه، وهو كره تلك

الأصوات لأن حجبت عنه صوت الحياة القادم من مكان بعيد يجهله؛ هناك حيث يقبع ابنه اللّطيف بشرخ في قلبه عميق ينتظر عودة حميدة تزيح عنه مرّ الظلم وقسوة لم تألفها نفسه الرهيفة.

حثّ خطاه مجدداً على أمل أن يجد ولو عالقاً واحداً يستطيع إرشاده إلى طريق النجاة، في نقطة ما بعيدة في أعماقه قد أدرك أخيراً ما تردّد من أفواه معلّميه على مرّ سنوات طويلة من الدراسة والاختصاص، هو أخيراً تعرّف إلى هدفه الأكثر أهمية، سينقذ ما يقدر على إنقاذه فربما تُبادِل الأقدار مساعيه الصّادقة بمَن يعين ويؤنس فقيده الحبيب هناك حيثما حلّ وحيداً.

-

مرّر ٥٣ القطن المعقّم بسلاسة عبر الجروح الحديثة المزيّنة لوجه صديقه، تعلن لمَن يراها بلهجة واضحة أن هذا الروز النّبيل غامر بسلامته لتبقوا آمنين!

في النّهاية هو مسح الوجنة الطرية السّليمة من أي أثر للخدوش بأنامله برفق شديد يتساءل: **"متى ستستخدم تقنية التسريع؟ لقد مرّ ثلاثة أيام بالفعل، ولتعلم، خوفك لا يخفى عليّ ولا أرقك ليلاً"**

"اممم في الحقيقة أنا لن أستخدمها، سأبقى إلى جانبك".
بصوت خفيض صرّح الروز الصديق
ثم أطبق جفنيه هرباً نظرات اللوم والعتاب التي توقع مصيباً حدج الآخر له بها.

"هل جُننت أخيراً؟ قم سأصحبك لوحدة التّسريع بنفسي". قال ذلك وهبّ واقفاً مولياً جسده الأمامي جهة باب الخروج، ثم التفت حينما لم يتلقّى استجابة من رفيقه فوجده متسمّراً في مكانه، تعابيره توحي

بما لا يدع متسعاً للشك أنّ قراره هذا هو قراره النهائي ولن يدحضه شيء.

بعد لحظات من انتظار الآخر ليعدِل عن موقفه الخاطئ وعناده، استسلم ٥٣ أخيراً يعود للجلوس إلى جوار مَن أمسك بكفه يشدّ عليها مطمئِناً ومصغياً للثّرثرة غير المجدية الصّادرة عن الآخر من قبيل: **"أحاول بجهد منذ أيام الحفاظ على وتيرة تنفسي في مجالها الطبيعي خوفاً من أن أقلق راحة فقيدي، أتظنّه سيكون سعيداً بابتعادي عنه لأيام لا أدري ما هو عددها حتى؟". "ليس هذا فقط، أنا لا أعلم إن كنت سأحيا أم سأموت، دعه يعرف لحظة موتي فيرثيني فذاك أسلم لكلينا من قطيعة مفاجئة لا هوية لها وربما تكون بلا نهاية"**

ولساعات لاحقة تشاركا البكاء والضحكات المقتولة يتجاهلان بكل ما أوتيا من عزيمة ارتجافهما الموتّر والدائم؛ تتخلله بعض الهزات الحقيقية متفاوتة الشدة.

-

ملخص موجز لأهم أحداث الثلث الأول

حرق

رسمياً تم إرسال عشرة أجنّة من كوكب أڤيلوس إلى كوكب الأرض بهدف تسهيل التغلغل داخل المجتمع البشري تمهيداً لحرب محتملة؛ لن يبدأها أڤيلوس على أية حال...

في الواقع تم إرسال إحدى عشر جنيناً من الروزين إلى الأرض، الأخير تم إرساله بطريقة سرية غير شرعية، وهو إذاً مجهول المصير نسبياً.

المَهمة المستحدَثة توجب إدخال الأطفال ضمن عائلات متفرّقة على كامل طول المعمورة وعرضها، هذه العائلات تم انتقائها وفقاً لمعايير لم يتم التصريح عنها بعد، وهي تضمّ ألواناً مختلفة من البشر.

طريقة الإدخال معقدة رغم بساطتها، كل جنين روزين تم إدخاله إلى رحم لامرأة بشرية فكان توأماً للجنين البشري، وهذا لا ينطبق على الجنين المرسَل بطريقة غير شرعية؛ إذ احتوى الجنين الروز السري أجزاءً من توأمه البشري الميت ليشكلا كائناً واحداً يعرف علمياً وشعبياً بمسمى 'كايميرا'

بطبيعة الحال ولأغراض أمنية، تُرك الأطفال الغرباء ليتجمعوا من دون أي مساعدة خارجية من موطنهم، واجتماعهم هذا سيحدث في الفصول القادمة.

لم تُطرح قصص جميع الأطفال خلال الثلث الأول، بل تناول الفصل حيوات خمسة من الأطفال فقط، بالإضافة إلى الطفل الكايميرا.

151

بالفعل تشابكت أقدار بعض الأطفال ولكنهم لم يهتدوا إلى طبيعتهم وما يربط بينهم حتى الآن.

تميز أطفال أڤيلوس عن محيطهم البشري بصفات توارثوها - كل على حده- من آبائهم، تأثر البعض من عائلاتهم بهذه الصفات فامتلكوها أيضاً...

لأڤيلوس كوكب جار لهما طبيعة مشتركة اسمه نيرول، وهما لأسباب سياسية بحتة على عداء دائم فيما بينهما.

بشكل سري ومن دون علم الكوكب المعني، تدخل نيرول بطرق مختلفة في المهمة الخاصة بأڤيلوس، وهذا التدخل سيُكشف عنه فيما يلي من فصول.

أحد أفراد نيرول يعيش في كوكب الأرض باسم أرضي غريب عن أهله 'جوليان'، إن هذا الروز مهم فلا تتجاهلوا جزئيات ظهوره.

هناك محور مهم يجب إيضاحه، الروزين وهم سكان كوكبي أڤيلوس ونيرول، مفرد الكلمة روز، هم جنس حي بعيد تماماً عن الجنس البشري رغم اشتراكهما ببعض الصفات السطحية، لا ينقسم الروزين إلى أنواع مثلنا (الذكر، الأنثى، الخنثى... إلخ)، بل إنّ جميعهم يتبعون نوع واحد غير محدد الصفات الجنسية، وتكاثرهم يحتاج لفرد واحد فقط، إذ يتكاثرون بالاستنساخ؛ وهو أيضاً طاله ما طال سائر أنماط معيشتهم من تطور ملحوظ تقني وعلمي على السواء.

شكراً على القراءة. أقدّر وقتكم الثمين.
للقصة تتمة.

هبة حسن

Varry

للتواصل معي:
https://www.wattpad.com/user/Varry-